من روائع التراث المعماري الحربي بجنوب غرب المملكة العربية السعودية القلعة العثمانية بجزيرة فرسان

د. إبراهيم صبحي السيدغندر •

الملخص

يتناول البحث واحدة من أهم المنشآت المعمارية الحربية بجنوب غرب المملكة، وهي القلعة العثمانية في إطار آثاري معماري توثيقي وتحليلي في محاولة لتأريخها وتوصيف مختلف عناصرها ووحداتها المعمارية الرئيسية والفرعية ومقارنتها وتأصيلها، كما يتناول البحث دوافع إنشائها وهويتها المعمارية والوظيفية ومواد وطرق بنائها وأسباب اختيار موقعها والدور الحضاري الذي لعبته ومعالم الطراز المعماري التقليدي الذي تجسد في مختلف تفاصيلها، كما يشير البحث إلي المنطقة التي شهدتها القلعة وأهم الأطوار التاريخية التي مرت بها منذ بداية العصر الإسلامي وحتى العصر الحديث.

تمهيد

في البداية أود أن ألقي نظرة تاريخية مختصرة عن جازان منذ بدايات العصر الإسلامي وحتى وقتنا الحاضر وذلك لإبراز أهمية هذه البقعة خلال كافة الحقب التاريخية التي مرت بها فلقد كانت عثر من المدن الإسلامية المزدهرة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين حيث كانت محطة من المحطات الرئيسية على طريق الحج والتجارة الساحلي بين اليمن ومكة المكرمة [١] ، كما كانت عاصمة لمخلاف سمي باسمها هو مخلاف عثر ثم تحول اسمه إلى المخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي والذي تولى رئاسة قبيلة حكم وعثر وقد رفعه طموحه إلى إنشاء تلك الإمارة حتى شملت ما أسماه بالمخلاف السليماني وكان ذلك في عام (٣٧٣هـ/٩٨٣م) وبعد أن استقرت به الأمور اتخذ من مدينة عثر عاصمة لأمارته وضرب اسمه على السكّة وخطب له على المنابر واستمرت إمارته حتى عام (٣٩٣ هـ/١٠٠٣م) ولقد كانت جازان

• أستاذ الآثار المساعد - قسم الآثار الإسلامية – كلية الآثار- جامعة الفيوم

[١] أحمد بن عمر الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة ،ص١١، مطابع الفرزدق الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤١٣هـ.

المنارة للاستشارات
www.

ضمن كثير من الأجزاء الأخرى تابعة لليمن إدارياً [٢] ، وكان المخلاف السليماني يشتمل على المنطقة الممتدة من غمارة حليّ ابن يعقوب شمالاً [٣] إلي الشرجة الواقعة غربي مدينة الموسم جنوباً حيث حدود المملكة لعربية السعودية مع اليمن، ومن البحر الأحمر غرباً إلي سلسلة الجبال الشرقية[٤] شرقاً [٥]. ويشتمل هذا المخلاف على عدة أودية أشهرها وادي بيش الذي هو امتداد مدينة عثّر الداخلي من الشرق حتى أن بعض المصادر تسمي عثّر بيشاً، ومخلافها:مخلاف بيش[٦] ، وقد عرفت كل هذه المناطق منذ عشرينيات القرن الماضي بإمارة جازان[٧] ، وكان هذا المخلاف يتبع إمارة مكة المكرمة، وكانت تحكمه أسر محلية من موالي بني مخزوم القرشيين، ثم حكمه ورثتهم الذين كان آخرهم الأشراف آل قطب الدين والذين استمر حكمهم من سنة (٨٠٤هـ/١٤٠١م) وحتى سنة (٩٤٣هـ/١٥٣٦م)[٨] ، وحينما استطاع العثمانيين القضاء على دولة المماليك والسيطرة على كافة ممتلكاتها في مصر والشام والحجاز واليمن آلت منطقة المخلاف السليماني لتبعيتهم حيث ظلوا يحكمونها لمدة ٩٠ سنة منذ سنة (٩٤٥هـ/١٥٣٨م) وحتى سنة (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) ثم انتهى الحكم العثماني فيها لمناهضته من قبل أسر وأشراف المخلاف وتحالفاتهم مع بعضهم البعض وتحالفاتهم كذلك مع أئمة اليمن الذين كانوا يناهضون الحكم العثماني أيضاً، وعقب طرد العثمانيين أسند الإمام محمد بن القاسم إمام اليمن الحكم في المخلاف مجدداً إلي بعض أسره المحلية تحت إشرافه أو إشراف ولاته في تهامة اليمن[٩]، وذلك كمكافأة لهم على تعاونهم معه في طرد العثمانيين، وقد فشل كل الولاة من هذه الأسر

---

[٢] ياقوت الحموي، معجم البلدان اليمانية،ص٦٩، مكتبة الرسالة ، بيروت،لبنان ،١٩٨٨م.

[٣] حالياً تتبع محافظة القنفذة التابعة لإمارة مكة المكرمة.

[٤] هي منطقة الحزون ثم جبال السراة.

[٥] عمارة الحكمي، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد تحقيق محمد بن علي الأكوع صنعاء، ص٦٣-٦٤، المكتبة اليمنية ، اليمن، صنعاء ١٩٨٥م.

[٦] عبد الرحمن بن حسن البهكلي، نزهة الظريف في حوادث أولاد الشريف،ص٥، مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة الملك سعود،المملكة العربية السعودية، ١٢٢٤هـ.

[٧] محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص١٠١، مكتبة المدينة المنورة، الرياض،المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ .

[٨] أحمد بن عمر الزيلعي ، المرجع نفسه ص١١.

[٩] على بن حسين الصميلي، المخلاف السليماني في عهد الإشراف آل خيرات،ص٣٨٠، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ٨، ص٣٧١-٤٤٦، مكة ، المملكة العربية السعودية .

المنارة للاستشارات
www.

في فرض الأمن والاستقرار والقضاء على الفوضى والاضطرابات، كما عجزوا عن توحيد أجزاء المخلاف في وحدة سياسية واحدة حيث ظل المخلاف مفككاً وموزعاً بين أسره وقبائله إلي أن ظهرت أسرة الأشراف آل خيرات والتي حكمت المخلاف السليماني في الفترة (١١٤١- ١١٨٤هـ/ ١٧٢٨-١٧٧٠م)، وقد شهد المخلاف السليماني خلال هذه الفترة عديد من الحروب والمعارك من أجل تأسيس وإرساء دعائم الاستقرار خاصة مع عدم دخول الأشراف آل خيرات في طاعة أئمة اليمن في ذلك الوقت، وتمثل وفاة الشريف محمد سنة (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م) نهاية الفترة الأولى من حكم الأشراف آل خيرات، وهي ما يمكن أن نطلق عليها فترة تأسيس الإمارة وبسط السيطرة على المخلاف السليماني[١٠]. وكان الأمير محمد بن سعود بن مقرن قد تمكن في تلك الآونة من تأسيس الدولة السعودية الأولى سنة (١١٣٩هـ/١٧٢٦م)، ومع أواخر عصر هذه الدولة تنتشر الدعوة السلفية الوهابية وتمتد عبر صبيا على يد أحمد بن حسين ألفلقي إلي المخلاف السليماني فيدخل في طاعة الدولة السعودية الأولى سنة (١٢١٧هـ/١٨٠٢م) رغم معارضة الشريف حمود بن محمد آل خيرات الملقب بأبي مسمار لذلك حيث كان مسيطراً على المخلاف آنذاك وكان مناهضاً للدعوة السلفية ومعادياً لجيرانه فسيّرت الدولة السعودية الأولى حملات لإخضاعه [١١] فتحالف مع القوات العثمانية بقيادة محمد على باشا والى مصر ولكنه سرعان ما توفى في نفس العام الذي تمكنت فيه الدولة العثمانية من إعادة إحكام قبضتها على المخلاف وعسير[١٢] وسائر الحجاز إذ اتجهت جيوش إبراهيم باشا بن محمد علي نحو الدرعية فدخلتها في العاشر من سبتمبر ثامن ذي القعدة عام (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م) وأسقطت ملك الدولة السعودية الأولى ليعود الحجاز بالكامل مجدداً خاضعاً لبلاط السلطان العثماني في استانبول[١٣] وما

---

[١٠] منال محمد الرشيدي العنزي ، مدينة صبيا في عهد أسرة آل خيرات،ص٢٦، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٩ هـ.

[١١] عبد الرحمن أحمد البهكلي الضمدي، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود،(١١٨٢هـ- ١٢٤٨هـ) تكملة العلامة الشيخ الحسن بن أحمد عاكش الضمدي (١٢٢٠هـ - ١٢٩٠هـ)، ص١٨، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

[١٢] عبدالفتاح حسن أبو عليّة،حجاز سياحتنامة سي، دار المريخ الرياض، المملكة العربية السعودية ١٩٨٣ .

[١٣] محمد فهد العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى،ص١٧، مكتبة العبيكان الرياض،المملكة العربية السعودية ،١٤١٥هـ.

المنارة للاستشارات
www.

هي إلا بضع سنوات حتى يعود النزاع والصراع مجدداً بين قبائل المخلاف من أجل الزعامة والرياسة وأئمة اليمن يؤلّبون بعضهم على بعض، ويزكون نار الفتن فيما بينهم[١٤] وذلك لإخضاعهم من جهة لسيطرتهم ولحملهم من جهة أخرى على مناهضة الحكم العثماني المتمثل في الجند المصريين المتمركزين في كثير من النقاط الحيوية في هذه البقاع ، وقد استمرت هذه الأوضاع حتى ظهر أحد المتصوفه المغاربة وهو السيد أحمد بن إدريس الذي انتقل من المغرب عبر مكة إلي المخلاف ليمكث به ثلاثين عاماً فيؤسس طريقه صوفية ويكثر مريدوه ومريدو طريقته فيستقر في صبيا شرق جازان عام (١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) غير أنه ما لبث أن توفى سنة (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) وبعد فترة من الزمن وحوالي سنة (١٢٩٣هـ /١٨٧٦م) يولد له حفيد وهو محمد بن علي الإدريسي والذي تلقى تعليمه الأوليّ في صبيا ثم سافر للقاهرة ودرس في الأزهر ست سنوات (١٣١٤-١٣٢٠هـ/١٨٩٦-١٩٠٢م) ومن هناك توجه لليبيا وزار مركز الدعوة السنوسية، وفي طريق عودته لصبيا - مسقط رأسه - عرج على السودان حيث تزوج فيه[١٥] وعقب استقراره بالمخلاف نشطت دعوته على طريقة جدة والتي سرعان ما تحولت إلي نهج سياسي مما هدد الحكم العثماني هناك خاصة بعد أن بسط محمد بن علي نفوذه على تهامة فأرسلت له حملة عسكرية عثمانية بقيادة شريف مكة الحسين بن علي يرافقه أحفاد سعود بن فيصل آل سعود عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) فقام السيد محمد بن علي الادريسي بشراء أسلحة من إيطاليا [١٦] وعجزت الحامية العسكرية العثمانية في متصرفيّة عسير عن صدّ هجماته حيث هزم العثمانيين في موقعة الحفائر بجيزان سنة ١٩١١ [١٧] ثم سرعان ما تحالف مع بريطانيا عام (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) التي عترفت له بالسيادة على تهامة كما تعهدت بحمايته ومساندته ودعمه ضد مناوئيه [١٨] وعقب نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة العثمانيين فيها وتقهقرهم إلي فرسان ليتمركزا في بعض النقاط الحصينة هناك يستأثر محمد بن علي الإدريسي بحكم غالبية المخلاف

---

[١٤] فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢: ١٩١٨) ، ص١٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،مصر، ١٩٨٦.

[١٥] خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز،ص١٥٣ ،دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

[16] Harold F , Jacob, Kings of The Arabia ,p.176, Specialized Book Service, London, 1923.

[١٧] فاروق عثمان أباظة، المرجع نفسه، ص٣١٦.

[١٨] المرجع نفسه ، ص ٣٥٨.

المنارة للاستشارات
www.

السليماني فتنازل له بريطانيا إلي جانب ذلك عن ميناء الحديدة وتضمها لملكه، وفي تلك الأثناء يعلن شريف مكة الثورة على الحكم العثماني سنة (١٣٣٤هـ/١٩١٦م) فيتحد مع الإدريسي على طرد العثمانيين نهائياً من شبه الجزيرة العربية، وقد تم جلاءهم بالفعل عن بلاد اليمن سنة (١٣٣٦هـ/١٩١٨م). وبعد ذلك يجد الإدريسي نفسه بين أطماع كل من الشريف السنّي حسين بن علي في الحجاز شمالاً والإمام الشيعي يحيى حميد الدين في اليمن جنوباً فاضطر لإرسال وفد للرياض عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) للاتفاق مع الأمير عبد العزيز بن سعود على حمايته وعقد معه معاهدة حسن جوار وتم ذلك في سادس عشر ذي الحجة عام (١٣٣٩هـ/١٩٢١م)، وعقب وفاة الإدريسي في ثالث شعبان سنة (١٣٤١هـ/١٩٢٣م) حل مكانه أكبر أبنائه وهو السيد علي بن محمد الإدريسي ولما كان صغير السن فقد عيّن عمّه وصياً عليه بعد أن كان الناس يريدون عمّه حاكماً عليهم وذلك لحداثة سن ابن أخيه وهنا تبدأ الانقسامات داخل الأسرة الإدريسية والتي انعكست على الناس فأصبحوا فريقان أحدهما يناصر الابن والآخر

يناصر عمّه فأقام الابن بجازان وأقام العم بصبيا وفي سنة (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) يشتد الخلاف فيما بينهما فيستنصران بالسلطان عبد العزيز الذي سعى في الصلح فيما بينهما[١٩] ، وكان من نتائج ذلك لجوء السيد علي بن محمد لمكة تاركاً جازان لعمه فيستأثر بحكمها مما شجع إمام اليمن على استرداد ميناء الحديدة وبعض البلدان الواقعة إلي شمال وشرق المدينة من ملك الأدارسة، ويحاول السيد حسن بن علي الحصول على دعم إيطاليا ضد إمام اليمن الطامع في ملكه ولكن بلا جدوى ففضل الدخول في حماية السلطان عبد العزيز الذي كان قد بسط نفوذه على الحجاز آنذاك فقبل السلطان عبد العزيز ذلك وعقدت اتفاقية بين الطرفان في الحادي والعشرين من أكتوبر رابع عشر ربيع الأخر سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦ م)[٢٠] بموجبها أصبحت الأمور الداخلية لجازان بيد الإدريسي في حين كانت السياسة الخارجية بيد السلطان عبد العزيز وظلت الأمور هكذا إلي أن تنازل السيد حسن بن علي الإدريسي عن إدارة شئون البلاد بالكامل لصالح السلطان عبد العزيز في سابع عشر جمادى الأولى سنة (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) ليعود في العام التالي مباشرةً فيعلن العصيان عليه تحت تأثير بعض دعاة حزب الأحرار الحجازي الذين وفدوا عليه من شرق الأردن فيرسل السلطان عبد العزيز في الرابع من نوفمبر خامس رجب سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) قوه

[١٩] محمد المانع، المرجع نفسه، ص١٩٩.

[٢٠] خير الدين الزركلي، المرجع نفسه، ص١٧٧.

المنارة للاستشارات
www.

عسكرية تطيح بهم في معركة جازان فتلجئهم إلي إمام اليمن الذي اضطر لتسليمهم إليه فيما بعد ذلك وفق شروط الصلح المنعقد عقب الحرب بين اليمن والسعودية في مايو السادس من صفر سنة(١٣٥٤هـ/١٩٣٤م) وبذلك تم توحيد المخلاف السليماني ليصبح عملياً خاضعاً لحكم السلطان عبد العزيز آل سعود [٢١] ، وفي ضوء هذه المعلومات التاريخية يمكننا استنباط الدور الحقيقي الذى لعبه العثمانيين في الحجاز بصفة عامة والمخلاف السليماني بصفة خاصة حيث أن عبئ مدافعة الأطماع الأجنبية في العالم الإسلامي كان واقعاً على عاتق هذه الدولة كما أنها خشيت بالذات على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة والذين كانا مهددان بالاختراق من قبل البرتغال والأسبان على الدوام، أضف إلي ذلك المصالح التجارية التي كانت الدول الاستعمارية تتصارع عليها في البحر الأحمر [٢٢] والذي يمثل جنوبه أهم نقاطه الإستراتيجية من أجل ذلك أحكمت الإمبراطورية العثمانية سيطرتها عليه بواسطة محمد على باشا في مصر وكذلك بواسطة أشراف مكة من جهة أخرى ولم تفرّط فيه إلا بعد أن أنهكتها الحروب الاستعمارية وضعفت ضعفاً شديداً في أواخر عصرها وكان من أبرز مظاهر اهتمامها إقامة الحاميات العسكرية والنقاط الحصينة والأساطيل البحرية التي كانت ترابط فيه وذلك لتأمين هذه المناطق ولقد استطاعت أن تجعل من البحر الأحمر بحيرة عثمانية مغلقة في وجه كافة أعداء الإسلام.

جزر فرسان

تعتبر جزر فرسان من أروع مناطق المملكة العربية السعودية بصفة عامة وإمارة جازان بصفة خاصة فهي تشكل أرخبيلا متميزاً في جنوب شرق البحر الأحمر من حيث المساحة بعد أرخبيل جزر دهلك المقابلة لها والتي تقع بالقرب من مينائي سواكن ومصوّع على الساحل الإريتري، وتبعد جزر فرسان عن مدينة جازان – عاصمة الإمارة – بنحو ٣٥ كيلو متر غرباً بين خط العرض ١٦.٧ شمالاً وخط الطول ٤١.٧ شرقاً[٢٣]، ويبلغ عددها نحو ٨٤ جزيرة تقريباً بإجمالي مساحة ٧٠٢ كيلومتر مربع وتعد فرسان (الكبرى) أكبر هذه الجزر من حيث المساحة والكثافة السكانية إذ تصل مساحتها

[٢١] المرجع نفسه، ص١٥٥.

[22] lLHAN, Mehdi, The Ottoman Turks and the Portuguese in the Arab Gulf (1534-1581,),p.27, Centre for Arab GuIf Studies Publications, Basra University, Iraq,1979 .

[23] Peterson , J.E., the Islands of Arabia: Their recent history and strategic importance ,p.12, Arabian studies , vol. No. 7,pp.22-36. ,K.S.A. 1985.

المنارة للاستشارات
www.

حوالي ٣٦٩ كيلومتر مربع تقريباً [٢٤]، ويبلغ عدد سكانها سنة ٢٠١٠ نحو ١٧٩٩٩ نسمة ١١% منهم غير سعوديين، وتتنوع أنشطتهم بين صيد اللؤلؤ والأسماك والتجارة والرعي وزراعة الدخن والذرة، ويبلغ طول الجزيرة من طرفها في الجنوب الشرقي إلى طرفها في الشمال الغربي حوالي ٧٠ كيلومتر تقريباً [٢٥]، وتأتي السقيد (فرسان الصغرى) في المرتبة الثانية من حيث المساحة والتواجد السكاني حيث تبلغ مساحتها حوالي ١٠٩ كيلومتر مربع تقريباً. أما بقية الجزر فهي غير مأهولة بالسكان ومن اشهرها ختب وقماح ودمسك وزفاف وسلوية ودوشك وكيرة ويصل طول شواطئ فرسان بصفة عامة إلي نحو٢١٦ كيلومتر متنوعة بين الصخرية والرملية والضحلة والسبخية وتتألف الجزر من مسطحات من الأحجار الجيرية الشعابية [٢٦] يتراوح متوسط ارتفاعها عن سطح البحر بين ١٠ و٢٠ و٤٠ متر، أما أقصى ارتفاع فهو ٧٥ متر، حيث تسمى هذه المرتفعات محلياً بالجبال، وتغطي سواحلها رمال كلسيّة بيضاء نتجت عن تحطم الشعاب المرجانية والأصداف البحرية. وهناك عدد من الأودية القصيرة التّي تنتهي إلى البحر، ومن أهم أنواع الأشجار فيها السمر والبلسم والسدر [٢٧] والأراك إلى جانب أشجار الشورة والقندل التي تكون أيكات ساحلية كثيفة إضافة للحشائش والطحالب البحرية والشعاب المرجانية، كما انتشرت بها مؤخرا أشجار المسكيت (البروسوباس) وتتميز كذلك بوجود ظبي الإدمي الفرساني المتوطن في بعض الجزر، بالإضافة إلى النمس الأبيض (الدّنب) وعدد من القوارض، أما الطيور فتمتاز بتنوعها ووفرتها خاصة الطيور المائية [٢٨] والشاطئية والمهاجرة والجبلية ومن أهمها العقاب النساري والبجع الرمادي والنورس القاتم ومالك الحزين وصقر الغروب وأنواع أخرى من القماري، وكذلك توجد بها بعض العظايا والثعابين وتعيش بها كذلك مجموعات متنوعة من سلاحف منقار الصقر [٢٩]، والسلاحف البحرية الخضراء التي يصل وزن

[٢٤] الوضيحي، فرسان: قاع البحر مرآة الثراء الجازاني والفرساني ص١٣، دراسة بالمجلة العربية للحياة الفطرية ص٨-١٥، السنة ١٢، العدد ٣٧ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٧.

[25] Gladstone, William, The ecological and social basis for management of a Red Sea marine-protected area p.1032, Ocean & Coastal Management, Vol.43,pp. 1015:1032,London, 2000,

[26] Wronski, Torsten , The molluscan bio-fouling community on the Red Sea pearl oyster beds , p.69, Zoology in the Middle East, Vol. 51,pp. 67-73, London 2010.

[٢٧] الوضيحي ، المرجع نفسه ، ص١٧.

[28] W. Gladstone, 2002, Fisheries of the Farasan Islands (Red Sea) Naga,p.43, World Fish Center Quarterly, Vol. 25, pp.30-34,London, 2002.

[٢٩] الوضيحي ، المرجع نفسه ، ص١٣.

المنارة للاستشارات
www.

بعضها نحو ١٦٠ كيلوجرام، وبها كثير من المناطق السياحية كساحل عبرة وخليج جنابة ومنطقة القندل وساحل العشّة وساحل الفقوة، هذا بالإضافة إلي الآثار التاريخية كمباني منطقة غرين ووادي مطر ومنطقة الكدمي ومباني منطقة العرضي وقلعة لقمان ومسجد الشيخ النجدي وقصره وبيت الجرمل وقرية القصار التراثية ومنزلان ينتميان لعائلة الرفاعي إضافة للقلعة العثمانية موضوع الدراسة، ونظراً لكل هذه المقومات الطبيعية النادرة فقد قامت الهيئة السعودية للحياة الفطرية عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) بتسجيل جزر فرسان كمحمية بحرية فأولتها حكومة خادم الحرمين الشريفين ببعض الخدمات والمرافق الأساسية تمهيداً لإحداث نهضة شاملة بهذه الجزر المتميزة على مستوى المملكة العربية السعودية .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومشكلاته البحثية

ترجع أهمية هذا البحث لعديد من الجوانب التي أجملها في كون هذا الأثر المهم من آثارنا الإسلامية لم يحظ بالدراسات الآثارية الفنية المعمارية التي تليق به كشاهد من الشواهد التي تؤكد على مدى عظمة وتطور العمارة الإسلامية وحيوتها التي لاءمت مختلف الظروف والبيئات والفترات التي ولدت بها مثل هذه العمائر، فالبحث به جانب توثيقي كبير لمختلف تفاصيل وعناصر هذه المنشأة سواء كانت كتل معمارية إنشائية رئيسية أو عناصر تشييدية مكملة فرعية، وكذلك يناقش البحث بعض مميزات العمارة التقليدية التي تجلّت في كافة تفاصيل ومعالم المنشأة وطرق بنائها ومواد وخامات هذا البناء، أيضا من المشكلات التي يتصدى لها البحث محاولة تأريخ المنشأة حيث أنها لا تحمل ثمّة نصوص تأسيسية أو كتابات أو نقوش زخرفية يمكننا من خلالها الاستدلال على تاريخ إنشائها ولو بشكل تقريبي إذ أن المراجع التي ورد بها ذكر المنشأة لم تشر من قريب أو بعيد للمنشئ أو لتاريخ الإنشاء أو للمهندس أو البنّاء الذي قام بتصميمها أو بنائها أو حتى الدوافع الكامنة وراء بناء المنشأة واكتفت بمجرد الإشارة إليها كمعلم من معالم جزيرة فرسان، كما يناقش البحث كذلك طبيعة المنشأة الحقيقية من حيث هويتها المعمارية ووظيفتها الرئيسية في ضوء مختلف عناصرها الدفاعية الحربية ومدى ملائمة تلك العناصر التي حوتها هذه المنشأة لتلك الوظائف المنوط بها أدائها ومدى نجاح هذه العناصر والوحدات في آداء تلك الوظائف، كما يناقش البحث مدى عبقرية المهندس في حسن الملائمة والموائمة بين تلك العناصر وبين وظائف المنشأة الرئيسية والفرعية من جهة وكذلك بينها وبين موقع المنشأة في وسط جزيرة مائية أعلى قمة صخرية من جهة أخرى ومدى إخضاعه كل هذا لأسس ومبادئ العمارة التقليدية

المنارة للاستشارات
www.

البسيطة، ومدى نجاحه في الجمع كذلك فيما بين كل هذه الوحدات جمعاً موفقاً بحيث تؤدي كافة هذه الوظائف على الوجه الأكمل .

الموقع والمساحة

تقع هذه المنشأة شمال جزيرة فرسان الكبرى على الطريق الواصل بين ميناء فرسان البحري وقرية المسيلة، وهي تقع إلي غرب هذا الطريق بحوالي ٥٤ متر، وقد شيّدت المنشأة أعلى قمة صخرية ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ١٠ أمتار تقريباً، وتقدر مساحتها الإجمالية بحوالي ١٧٠ متر مربع، والمنشأة غير بعيدة عن الميناء حيث يستطيع القاصد بلوغها بالسيارة خلال ٣٠ دقيقة عقب خروجه من بوابة الميناء، وهي تقع في منطقة جبلية خلو تماماً من السكان إذ أن أقرب تجمع سكني منها يبعد عنها بحوالي ثلاثة كيلومترات حيث قرية المسيلة إلي الشمال ومباني جزيرة فرسان إلي الجنوب الغربي منها، وقد قامت الهيئة العامة للسياحة والآثار بإحاطة الحيز المحيط بها لمسافة ١٥ متر تقريباً بكردون حديدي مغشّى بشبك من السلك وذلك لحمايتها وتأمينها، كما قامت برصف إفريز مستطيل بعرض متر تقريباً يحيط بها من ثلاث جهات هي الشرقية والجنوبية والغربية، كما قامت بمدّ درج صاعد من بداية الطريق وحتى قرب مدخلها وذلك لتيسير الوصول إليها وزيارتها، هذا بالطبع في إطار عملية الترميم الشاملة التي خضعت لها المنشأة إذ كانت أجزاء كثيرة منها قد تعرضت للانهيار والتصدع نتيجة ضعف مواد البناء والظروف البيئية الصعبة في تلك المنطقة .

طرق ومواد البناء

تشهد جزر فرسان تنوعاً بيئياً متميزاً وقد تعددت مواد بناء المنشأة وفقاً لهذا التنوع البيئي الفريد حيث نجد المعمار قد استخدم الجص والحديد وسيقان الأشجار إضافة إلي الصخور الشعابية التي كانت ولا تزال إلي الآن في كثير من الأحيان المادة الرئيسية للبناء في جزر فرسان، وقد بنيت من هذه الصخور كافة وحدات وعناصر المنشأة الرئيسية وأسوارها الداخلية والخارجية وكذلك ملاحقها، ومن المعروف جيولوجياً أن هذه النوعية من الصخور تنشأ في بيئة ضحلة ودافئة نتيجة لنشاط الكائنات البحرية الحيّة، وهي تشكل الكيان الرئيسي للمرجان إضافة لهياكل وبقايا جميع الكائنات البحرية الصغيرة الأخرى، ولذلك فإن هذه الصخور إجمالاً عبارة عن رواسب متلاحمة من المكونات العضوية كالطحالب الكلسية والمرجانية والروديستا والأسفنجيات والحزازيات [٣٠] ، أما بقية المواد المستخدمة في البناء والتشييد فقد كان الجص ابرزها حيث استخدم كمادة رابطة بين الكتل

[٣٠] فؤاد صروف، طبقات ألأرض، ص٣١، مطابع وزارة المعارف العمومية ، القاهرة، ١٩٣٢.

المنارة للاستشارات
www.

الصخرية الغفل، وكذلك كمادة رابطة بين صفوف هذه الكتل وبعضها البعض كما استخدم أيضاً في طلاء الجدران من الداخل والخارج لإكسابها نوعاً من المتانة والقوة، كما استخدم المعمار إلي جانب ذلك الأخشاب وقد تمثلت من حيث أشكالها وأحجامها ووظائفها في عدة أنواع فبينما استخدمت كجذوع منفردة يصل قطر الواحد منها لحوالي ٢٠ سنتيمتر في تسقيف الحاصل وغرفة المراقبة استخدمت كذلك مزدوجة كأعتاب علوية مستقيمة تمثل عقود المداخل والأبواب الداخلية والخارجية للمنشأة.

كما استخدمت في تخليق بعض الزوايا القائمة و المنفرجة وذلك عند بناء السقّاطات العلوية أعلى سطح المنشأة، أما مادة الحديد فقد استخدمت كذلك في المنشأة حيث مجموعة من الكمرات التي استخدمت في تدعيم سقف الصفّة وكذلك سقف القاعة الرئيسية بالمنشأة، كما استخدم الحديد في صناعة أربعة أبواب مزدوجة هي أبواب المدخل والدركاة وغرفة المراقبة والدرج، وباب خامس مفرد هو باب البرج عبر القاعة الرئيسية. ولا يظن من يتأمل بناء هذه المنشأة وطرق تشييدها وأنها قد جاءت بسيطة في وسائلها ومعالجاتها المعمارية والهندسية أن ذلك كان بسبب العجلة والسرعة في إنجاز المبنى بقدر ما كانت هذه البساطة هي السمة الغالبة على مختلف نوعيات العمائر والمنشآت التي شهدتها جزر فرسان بصفة عامة وبخاصة المنشآت السكنية كالمنازل والدور وغيرها ومن يتأمل قرية القصار مثلاً وعمارتها التقليدية المتميزة يجد ذلك جليّاً للعيان. ولقد دفع لهذه البساطة كثير من العوامل والظروف والمتغيرات أدت كلها بالتالي لظهور طابع البساطة على تلك المنشآت والذي يعتبر من أهم خصائص العمارة التقليدية في هذه المنطقة.

التخطيط المعماري

يقصد بتخطيط المنشأة التصميم الهندسي الذي وضعت عليه المنشأة وفقاً لعديد من العوامل والمتغيرات البيئية والمناخية والسياسية الحربية والاقتصادية التي أثرت في المنشأة سواء بشكل مباشر أوغير مباشر فانعكست هذه المؤثرات على المنشأة بصفة عامة وكذلك على تخطيطها .

وقد جاء المسقط الأفقي للطابق الأرضي منه عبارة عن مساحة شبه مربعة يتصدرها من الجهة الجنوبية سور أمامي يتوسطه باب يفضي مباشرة لفناء مكشوف يكتنفه صهريج إلي الغرب وحاصل إلي الشرق وصفّة إلي الشمال يكتنفها درجان الشرقي يؤدي لداخل القاعة الرئيسية بالطابق الأول عبر دركاة بسيطة ذات مسطبة، والدرج الغربي يؤدي للطابق الأول من البرج وسطح المنشأة ، وإلي الشرق خلف دركاة دخول القاعة الرئيسية توجد غرفة مراقبة تشرف على الجهة الشرقية عبر سور مرتفع مزوّد بفتحات مزاغل،

المنارة للاستشارات
www.

كما تشرف من الجهة الجنوبية على سطح الحاصل، ويتميز الطابق الأرضي كذلك بوجود دكّة حجرية مستطيلة أسفل القاعة الرئيسية للمنشأة وبنفس مساحتها، وكمثلها أسفل الطابق الأول من البرج وبنفس مساحته (أنظر الشكل رقم ١) .

أما تخطيط الطابق الأول فإن أبرز ما يميزه القاعة الرئيسية للمنشأة وهي مستطيلة ذات استطرق [٣١] أوسط وثلاث مساطب كبيرة وتشرف القاعة من الغرب عبر فتحة شباك على الطابق الأول من البرج والذي يمكن الوصول إليه كذلك عبر الدرج الخارجي الموجود إلي الغرب من الصفّة ويتميز هذا الطابق من البرج بوجود فتحات مزاغل في كل من ضلعية الغربي والشمالي، كما تشرف القاعة الرئيسية كذلك على الجهة الشمالية والشرقية وقسم من الغربية عبر فتحات مزاغل وتتصل القاعة بالصفّة وغرفة المراقبة عبر ثلاث فتحات نوافذ في كل واحدة منهما (أنظر الشكل رقم ٢).

أما تخطيط الطابق الثاني والأخير والذي كان يتوصل إليه من خلال الطابق الأول من البرج عبر سلّم نقّالي فهو يضم السطح وهو المساحة التي تعلو سقف القاعة الرئيسية ويتميز بسور (دِرْوَة) [٣٢] مزوّد بفتحات مزاغل وميازيب وثلاث سقّاطات [٣٣] في كل من أضلاعه الشمالية والشرقية والجنوبية ، كما يشرف على السطح أيضاً الطابق الثاني من البرج وهو عبارة عن ممشى مستطيل يؤطره سور(دروة)مرتفع مزوّد بفتحات مزاغل من الأربع جهات(أنظر الشكل رقم ٣)

---

[٣١] يقصد معمارياً بالاستطراق الممر الأوسط المنخفض بين منطقتان مرتفعتان من حوله، وقد ظهر في العمائر الإسلامية ومن أبرز نماذجه ما وجد بمدرسة السلطان الأشرف برسباي (٨٣٥هـ/١٤٣٣م) ضمن مجمعه بجبانة المماليك بمنطقة الدراسة بالقاهرة، ونموذج أخر بجامع المحمودية (٩٧٥هـ/١٥٦٧م) بميدان صلاح الدين بمنطقة القلعة بالقاهرة .

[٣٢] الدروّة بكسر الدال وتسكين الراء وتشديد الواو واحدة الدراوي وهي أحدى عناصر العمارة الدفاعية ووجدت في كثير من القلاع الحربية وكانت تخصص لمداراة الجنود المدافعين وإخفائهم عن ناظر الأعداء المهاجمين وتنوعت أحجامها وارتفاعاتها وتصميماتها باختلاف الظروف والمتطلبات المعمارية المحيطة بها.

[٣٣] السقاطات جمع سقّاطة وهي احدى الوسائل الدفاعية عبارة عن دخلة بارزة عن سمت الجدران العلوية للمنشآت الحربية بها فتحات بأرضيتها تخصص لسكب (تسقيط) المواد الملتهبة على الأعداء المهاجمين.

المنارة للاستشارات
www.

الدراسة الوصفية

وهي عملية التسجيل والتوثيق الأثري المتكامل لكافة كتل ووحدات وعناصر المنشأة المعمارية وذلك بتحديد أبعادها ومقاييسها وارتفاعاتها وأحجامها ومواصفاتها الفنية والهندسية والمعمارية الدقيقة، وكذلك مواضعها بالنسبة للمنشأة وبالنسبة لبعضها البعض وبالنسبة للجهات الأصلية والفرعية، ويشمل ذلك مختلف مكونات المنشأة الرئيسية: كالمداخل والصفّة والبرج والفناء والقاعة الرئيسية وغرفة المراقبة والواجهات، وكذلك مكوناتها الفرعية : كالسطح والدرج والأسوار والدركاة، إضافة للملاحق والمنافع: كالحاصل والصهريج والبئر والحرم الخارجي، وكذلك تتناول الدراسة الوصفية سائر المكملات الإنشائية من فتحات أبواب ونوافذ وشبابيك وعقود ومصاطب وأسقف وأرضيات، إضافة للعناصر المعمارية التكميلية كفتحات المزاغل والسقاطات والدراوي والميازيب .

١- الواجهات الخارجية

للمنشأة أربع واجهات ثلاث منها خارجية والرابعة داخلية تشرف على الفناء الذي يتقدمها وتمتد هذه الواجهة الجنوبية لمسافة ١٤٥٠ سنتيمتر وترتفع بمقدار ٥٣٠ سنتيمتر، وتضم معظم وحدات المنشأة الرئيسية كواجهة غرفة المراقبة شرقاً تليها واجهة الدركاة ثم واجهة القاعة الرئيسية - والتي تشرف على الصفّة- ثم واجهة سور الدرج الصاعد للبرج، وتخلو هذه الأقسام جميعها التي تضمها تلك الواجهة من ثمّة تفاصيل معمارية أو زخرفية باستثناء فتحات المزاغل التي تفتح في كل من الدركاة وسور الدرج الصاعد إضافة لنوافذ القاعة التي تفتح في الصفّة، ويتميز السور العلوي لهذه الواجهة بوجود صف مكون من سبع فتحات مزاغل في مستوى واحد بالإضافة لسقاطة بارزة تتوسط هذا السور يفتح بها أيضاً فتحتي مزغل (أنظر الشكل رقم ٤).

أما بالنسبة للواجهات الخارجية فتتميز الواجهة الشرقية والتي يبلغ امتدادها نحو ١٣٠٠ سنتيمتر بأنها مقسمة لقسمين: القسم الجنوبي ويمثل واجهة الحاصل وهي ترتفع بمقدار ٢٥٠ سنتيمتر وتضم ميزاب خشبي مخصص لصرف الأمطار التي قد تتساقط أعلى سقف الحاصل، أما القسم الشمالي من الواجهة فبه خمس مستويات أفقية من فتحات المزاغل السفلي يضم ثلاثة ويفتحوا بغرفة المراقبة، والمستوى الثاني يضم أربعة مزاغل ويفتحوا في القاعة الرئيسية، والمستوى الثالث يضم مزغلان ويفتحان في السور، والمستوى الرابع به ثلاثة فتحات مزاغل اثنتان منهما تفتحان في سور السقاطة والثالثه تفتح في سور السطح، والمستوى الخامس والأخير به فتحتي مزغل وتفتحان في الحافة العلوية لسور سطح المنشأة. أما الواجهة الشمالية

المنارة للاستشارات
www.

والتي يبلغ طولها حوالي ١٥٥٠ سنتيمتر تقريباً فيفتح بها ثلاث مستويات من فتحات المزاغل تسع فتحات منها في المستوى السفلي ويفتحوا في القاعة الرئيسية، ومثلهم في المستوي الثاني حيث سور سطح المنشأة، واثنتان من هذه المزاغل تفتحان في السقّاطة التي تتوسط السور، أما المستوي الثالث والأخير فيفتح به خمس فتحات مزاغل في حافة السور العلوية، كما زوّدت هذه الواجهة بثلاث ميازيب خشبية اثنان بطرفي السقّاطة الشرقي والغربي وثالث إلي الغرب منها (أنظر اللوحة رقم ٥).

أما بالنسبة للواجهة الغربية فتتميز بأنها على ثلاث أقسام بثلاث ارتدادات مختلفة أكثرها بروزاً للخارج القسم الأوسط والذي يمثله الضلع الغربي من البرج، ويليه القسم الثاني ويمثله الضلع الغربي من القاعة الرئيسية، ثم القسم الثالث وهو على جزأين ولكن بسمت واحد: الجزء الأول وهو الشمالي، ويمثله الضلع الغربي من كتلة الدرج الصاعد للبرج وهو الأعلى ارتفاعاً والأقل امتداداً، والجزء الثاني وهو الجنوبي، ويمثله الضلع الغربي لكل من الصهريج والدكة الحجرية وهو الأقل ارتفاعاً والأكثر امتداداً. أما بالنسبة للقسم الشمالي من الواجهة الغربية والذي يمثله الضلع الغربي من القاعة الرئيسية والذي يبلغ امتداده حوالي ١٣٠ سنتيمتر تقريباً فهو يشرف على الخارج عبر فتحة مزغل واحدة في الركن الشمالي الغربي، كما يشرف السور العلوي للمنشأة بذات القسم على نفس الجهة عبر فتحتي مزغل. وإلي الجنوب من هذا القسم يوجد القسم الأوسط من الواجهة الغربية، وهو الأكثر بروزاً حيث يشرف على الخارج عبر مستويين من فتحات المزاغل المستوي السفلي، ويفتح في الطابق الأول من البرج عبر فتحتي مزغل فقط، ويليه المستوى الثاني، ويمثله الطابق الثاني والأخير من البرج، ويفتح على الخارج عبر مستويان من فتحات المزاغل أربعة فتحات في المستوي السفلي، وثلاثة في المستوى العلوي. ويلي ذلك القسم الثالث من الواجهة الغربية وهو إلي الجنوب من القسم الثاني ويفتح الجزء الأول منه على الخارج عبر فتحة مزغل واحدة فقط تتصل بالدرج الصاعد للبرج، أما الجزء الثاني الأقل ارتفاعاً من نفس القسم - والذي يمثل في ذات الوقت الطرف الجنوبي الغربي من الواجهة الغربية ككل- فهو يتصل بالخارج عبر ستة فتحات مزاغل تتخلل السور ثلاثة منها تعلو الدكة الحجرية في الشمال والثلاثة الأخرى تعلو كتلة الصهريج في الجنوب (أنظر الشكل رقم ٦).

٢-السور الخارجي والمدخل

يمتد السور الخارجي للمنشأة مسافة ١٤ متر تقريباً وهو يمثل الضلع الجنوبي من القلعة، ويمثل ضلع الحاصل قسم من طرفة الشرقي بمسافة ٣٣٠ سنتيمتر، كما يمثل ضلع الصهريج قسم من طرفة الغربي بمسافة ٢٣٠

المنارة للاستشارات
www.

سنتيمتر، ويرتفع هذا السور عن مستوى الممشى المحيط بالمنشأة بمقدار ٢٥٠ سنتيمتر، ويبلغ سمكة بصفة عامة حوالي ٣٠ سنتيمتر، ويتوسطه فتحة باب مستطيلة باتساع ١٦٠ سنتيمتر وبارتفاع ١٨٠ سنتيمتر يغلق عليها مصراعان من الحديد وتتميز المنطقة التي بأعلى العتب العلوي للباب بارتفاعها عن مستوى الارتفاع العادي للسور، ويفضي المدخل إلي الفناء مباشرة دون أي انكسارات، والسور مزوّد بستة عشر فتحة مزغل سبعة بالجهة الشرقية من الباب ومثلها بالجهة الغربية وجميعها في مستوى أفقي واحد أما الفتحتان الأخريان ففي المنطقة التي تعلو ضلع الصهريج وهما في مستوى أعلى بقليل من مستوى بقية الفتحات.

٣- الفناء

وهو عبارة مساحة مستطيلة مكشوفة تبلغ أبعادها حوالي ١٠٢٠ سنتيمتر من الشرق إلي الغرب و٤٨٠ سنتيمتر من الجنوب إلي الشمال، ويشرف على الفناء أربع وحدات رئيسية من وحدات المنشأة وهي الحاصل إلي الشرق والصهريج إلي الغرب وغرفة المراقبة إلي الشمال الشرقي والصفّة إلي الشمال الغربي، كما يفتح فيه من الجنوب الباب الرئيسي للمنشأة، وأرضية الفناء مفروشة حالياً بقطع غير منتظمة من البلاط الجيري الذي استخدم كذلك في إجراء بعض التعديلات حول المنشأة وبداخلها، كما يلاحظ أن مستوى أرضية الفناء مسامتة لأرضيات الصهريج والحاصل غير أنها منخفضة بمقدار ٢٠ سنتيمتر عن أرضية السقيفة (الصفّة)

(أنظر الشكل رقم ٧).

٤-الحاصل

مصطلح وثائقي كان يطلق على الخزانات التي تلحق بالمنشآت الحربية أحياناً وبالسكنية أو الدينية أحياناً أخرى، ويستخدم غالباً وبصفة عامة في التخزين سواء لحاصلات زراعية أو مؤن غذائية أو أدوات منزلية للنظافة أو الإضاءة أو معدات وآلات وذخائر حربية، وحاصل المنشأة عبارة عن مساحة شبه مربعة تبلغ مساحتها ٤٨٠×٣٣٠ سنتيمتر تقريباً، وترتفع جدرانه بمقدار ١٢٠ سنتيمتر فقط مما يؤكد بالفعل أنها كانت للتخزين، كما يسقف الحاصل حالياً أعواد متراصة من الغاب محمولة على جذوع أشجار كاملة الاستدارة، وقد طليّ السقف من أعلى بطبقة من الجص وذلك لعدم حدوث تلفيات بسبب مياه الأمطار، ويفتح الحاصل مباشرة دون مصراع من الجهة الغربية على الفناء عبر فتحة كبيرة ترتفع بمقدار ١٠٠ سنتيمتر تقريباً، ويبلغ اتساعها حوالي ١٦٥ سنتيمتر تقريباً وهي معقودة بعقد مستقيم من جذوع الأشجار، ويرتفع سور المنشأه الخارجي عند ضلعي الحاصل

المنارة للاستشارات
www.

الشرقي والجنوبي بمقدار ٥ سنتيمتر ولا يتخلل هذان الضلعان من الحاصل أية فتحات مزاغل.

٥-البئر والصهريج

وهما المصدران الرئيسيان للمياه داخل المنشأة وخارجها، وقد اضطر المعمار بسبب ارتفاع مبنى المنشأة وكذلك بسبب ضيق حيزها الداخلي أن يقوم بحفر بئر المياه خارجها على مسافة حوالي ١٦ متر تقريباً وذلك في منطقة منخفضة في مستواها إلي حد كبير عن مستوى أرضية المنشأة، والبئر يبلغ عمقه حوالي ١٠ أمتار تقريباً ويحيط بفوهته سور مستدير بارتفاع ٨٠ سنتيمتر تقريباً، ومن المؤكد انه كان يضم قائم خشبي ذو بكر ودلاء مثبتة بالحبال لاستخراج المياه التي كان يتم نقلها للصهريج الموجود داخل المنشأة والذي يقع إلي الغرب من الفناء، ويفصل بين جدار الصهريج الشمالي وسور الدرج الصاعد للطابق الأول من البرج دكّة حجرية مسمطة بعرض ٧٠ سمنيمتر تقريباً وبنفس ارتفاع مبنى الصهريج وعمقه وامتداده من الشرق إلي الغرب، والصهريج عبارة عن مساحة شبه مربعة تبلغ أبعادها حوالي ٢٣٠×٤٨٠ سنتيمتر تقريباً، ويرتفع جداره لمسافة ١٢٠ سنتيمتر تقريباً وهو يستوعب حوالي ١٠ متر مكعب من المياه تقريباً ، ويفتح بالركن الشمالي الشرقي من سقفه فتحة الصهريج (الخرزة) وهي مربعة تبلغ أبعادها حوالي ٦٠×٦٠ سنتيمتر تقريباً ويؤطرها إفريز حجري يرتفع بمقدار ٥ سنتيمتر تقريباً، وكان يتم تزويد الصهريج من خلال هذه الفتحة بالمياه، والصهريج كان يمثل المصدر الرئيسي للمياه داخل المنشأة وكانت الضرورة ملحة لبنائه وذلك لتوفير الماء خاصة مع احتمالية التعرض للحصار.

٦-الصفّة

وهي السقيفة التي تشرف على الفناء من الجهة الجنوبية وهي مستطيلة تبلغ مساحتها حوالي ٢٠٠×٥٦٠ سنتيمتر تقريباً، ويتوصل إليها عبر درجة سلم حيث ترتفع أرضيتها عن أرضية الفناء بمقدار ٣٠ سنتيمتر تقريباً وهي مسقوفة بسقف من الغاب المحمول على جذوع الأشجار، ويفتح في صدرها الشمالي ثلاث فتحات نوافذ مطاولة معقودة بعقود نصف دائرية تفتح جميعها من الداخل في القاعة الرئيسية للمنشأة، وبطرفي الصفّة يوجد درجان الشرقي مكون من درجتان تؤديان لباب حديدي ذو مصراعان يفضيان مباشرة لدركاة دخول القاعة الرئيسية بالمنشأة، أما الدرج الغربي فمكوّن من أربع درجات ثم بسطة تليها درجتان تؤديان لباب حديدي ذو مصراعان أيضاً يفضي مباشرة للطابق الأول من البرج، وعلى مستويان مختلفان بالجدار الجنوبي لهذا الدرج يلاحظ وجود فتحتي مزغل حيث يرتفع الجدار

المنارة للاستشارات
www.

لمستوى سطح المنشأة تقريباً كما توجد فتحة مزغل أخرى بالجدار الغربي لهذا الدرج (أنظر الشكل رقم ٨).

٧-الدكّة الحجرية

وأقصد بها الطابق الأرضي المسمط لكل من البرج والقاعة الرئيسية كوحدتان رئيسيتان من وحدات المنشأة ، حيث استطاع المعمار أن يوفّر لهما دكّة طبيعية من الكتل الحجرية الرسوبية المتمركزة في المكان بالطبع منذ فترات بعيدة ، وهو ما أتاح له فرصة أن تكون ترتفع هاتان الوحدتان خاصة في مستوى أرضيتهما دون سقفيهما عن بقية أرضيات مختلف الوحدات المعمارية في المنشأة، حيث ترتفع أرضية القاعة الرئيسية عن مستوى أرضية الفناء بمقدار ١٠٠ سنتيمتر تقريباً ، كما ترتفع أرضية الطابق الأول من البرج عن مستوى أرضية الفناء بمقدار ١٧٥ سنتيمتر تقريباً، وهذا بالطبع ما وفر لهما نوع من المتانة الطبيعية والذي يتناسب مع الأهمية المعمارية التي انعكست على دورهما الرئيسي ضمن بقية وحدات المنشأة، ويمكننا ملاحظة هذه الدكّة من الجهة الشمالية والغربية حيث لا تزال بعض أجزاء منها تبرز أسفل جدران البرج والقاعة الرئيسية من الخارج وقد تركت هذه البروزات لزيادة تدعيم وتقوية هذه الكتل المعمارية.

٨- الدركاة

يطلق هذا المصطلح غالباً على المكان الذي يمكن الوصول من خلاله للوحدة المعمارية الرئيسية بالمنشآت الآثارية بصرف النظر عن نوعيات هذه المنشآت، والدركاه تمثل مرحله انتقالية من الخارج إلي الداخل وغالباً ما تتميز بنوع من الانكسار الهندسي الذي يوفر نوع من الحماية الدفاعية والستر والحجابة والسكنية والهدوء في كل من المنشآت الحربية والسكينة والدينية، وتختلف الدركاوات معمارياً بصفة عامة باختلاف حجم وأبعاد المنشآت التي تحتويها وأغراضها التي وضعت من أجلها ومواد البناء وترتيب وحدات هذه المنشآت، ودركاه المنشأة يمكن الوصول إليها عبر درجتي سلم توجدان في شرق الصفّة، وترتفع أرضية الدركاة عن مستوى أرضية الفناء بمقدار ٦٥ سنتيمتر تقريباً، والدركاة عبارة عن مساحة شبه مستطيلة أبعادها ١٨٠×١٧٥ سنتيمتر تقريباً يتصدر ضلعها الغربي فتحة باب أبعادها ١٢٠× ١٩٠ سنتيمتر تقريباً ويغلق عليها مصراعان حديديان، وتشرف الدركاة من الجهة الجنوبية على الفناء عبر فتحتي مزغل، كما تشرف من الجهة الشرقية على غرفة المراقبة عبر فتحتى مزغل أيضاً، وتتميز الدركاة بوجود ما يشبه مسطبة تتصدر الضلع الشرقي بامتداد الجدار وبعرض ٤٥ سنتيمتر تقريباً وبارتفاع ٥٠ سنتيمتر تقريباً عن مستوى أرضية الدركاة.

المنارة للاستشارات
www.

٩-الدرج الموصل للبرج

ويوجد في أقصى غرب الصفّة حيث أربع درجات سلم تتجه نحو الغرب تبدأ من مستوى أرضية الصفّة وتنتهي بدرجة سلّم مربعة عبارة عن بسطه تنطلق من عليها نحو الشمال درجه واحدة ثم درجة أخرى تمثل العتب السفلي لباب الطابق الأول من البرج ، ويلاحظ أن جميع الدرج في المنشأة لا يتكون من قطع حجرية واحدة بل أن كل درجة مبنية من قطع صغيرة متراصّة ومطلية بطبقة من الجص، ويدلنا على ذلك اختلاف أبعاد هذه السلالم وكذلك ارتفاعاتها حتى على مستوي الدرج الواحد داخل المنشأة، ويفصل بين الدرج وسطح الصهريج جدار يرتفع لمستوى سطح المنشأة مرتكز على الدكّة الحجرية المجاورة للصهريج من الشمال ويفتح في هذا الجدار فتحتي مزغل في مستويين مختلفين، كما يفتح في الجدار الغربي لهذا الدرج فتحة مزغل واحدة، والدرج بصفة عامة مكشوف حتى مستوى سطح المنشأة، ويشرف على هذه المنطقة المكشوفة الطابق الثاني من البرج عبر جدارة الجنوبي ذو فتحات المزاغل، كما يشرف عليها أيضاً سطح المنشأة ولكن بدون حاجز .

١٠- غرفة المراقبة

تقع هذه الغرفة إلي الشرق من دركاة دخول القاعة الرئيسية بالمنشأه وتشرف من الجهة الجنوبية الشرقية على الحاصل، ويتم الوصول إليها عبر فتحة باب تبلغ أبعادها ١٣٠×١٥٠ سنتيمتر يغلق عليها مصراعان حديديان ويتوصل لهذا الباب والذي يفتح في فناء المنشأة عبر درجة سلم حيث ترتفع أرضية الغرفة عن أرضية الفناء بمقدار ٤٥ سنتيمتر تقريباً، وتبلغ أبعاد غرفة المراقبة حوالي ٤٤٠× ٢١٠ سنتيمتر تقريباً ويرتفع سقفها لمستوى سقف بقية المنشأة وتشرف على الخارج من الجهتين الشرقية والجنوبية أما الشرقية فيشرف جدارها على الخارج عبر ثلاث فتحات مزاغل، وينتهي الجدار من أعلى بما يشبه فتحة نافذة مستطيلة بعرض الجدار وبارتفاع حوالي ٩٠ سنتيمتر تقريباً، وكانت تستخدم كمطّل يمكن من خلاله مراقبة تحركات الأعداء المهاجمين من هذه الجهة، أما الجهة الجنوبية فهي مكشوفة كلياً حيث يمثل الجدار الشمالي للحاصل حاجز بينه وبين داخل الغرفة ولا يرتفع هذا الجدار سوى لمسافة ١٧٥ سنتيمتر تقريباً أما بقية المسافة وحتى مستوى سقف المنشأة فهي مكشوفة تماماً وذلك حتى يتمكن الجنود من مراقبة الجهة الجنوبية من المنشأة، ويفصل بين هذه المسافة المكشوفة في الجنوب ونظيرتها في الجهة الشرقية دعامة ركنية شبه مستطيلة تحمل الطرف الجنوبي الشرقي من سقف المنشأة، هذا ويتصل الجدار الغربي لغرفة المراقبة بدركاه دخول القاعة الرئيسية للمنشأة عبر فتحتي مزغل، كما تتصل

المنارة للاستشارات
www.

بالقسم الشرقي من القاعة الرئيسية للمنشأة عبر ثلاث فتحات نوافذ مطاولة معقودة بعقود نصف دائرية تتشابه مع نظيرتها التي تصل الصفّة بالقسم الغربي من نفس القاعة(أنظر الشكل رقم ٩)

١١- القاعة الرئيسية

وهي الأبرز في المنشأة والأكثر أهمية من حيث الموقع والحجم والوظيفة وتشغل هذه القاعة الجانب الأكبر من القسم الشمالي للمنشأة ككل حيث لا يشترك معها في هذا القسم سوى البرج والذي لا يمثل سوى ١٥% فقط من إجمالي مساحة هذا القسم، والقاعة يحدّها من الجنوب غرفة المراقبة يليها دركاة دخول القاعة ثم الصفّة ثم الدرج الصاعد للبرج وذلك بالترتيب من الشرق إلي الغرب، والقاعة مستطيلة الشكل تبلغ مساحتها حوالي ١٣٥٠×٤٠٠ سنتيمتر تقريباً وأرضيتها في نفس مستوى أرضية الدركاة حيث ترتفعان عن مستوى أرضية الفناء بمقدار ٦٥ سنتيمتر تقريباً، ويمكن الوصول لهذه القاعة عبر فتحة باب توجد بالضلع الشمالي من دركاة الدخول تفضي إلي القاعة مباشرة، وتتميز القاعة كذلك بأنها تشرف على الأربع جهات المحيطة بها إذ تشرف من الجهة الشمالية على الخارج عبر تسع فتحات مزاغل متباينة ألاتجاهات كما تشرف على الجهة الغربية عبر فتحة مزغل في الركن الشمالي ، كما يفتح بنفس الجدار الغربي فتحة شباك تستخدم كذلك كباب يمكن التوصل من خلاله للطابق الأول من البرج وتبلغ أبعاد هذه الفتحة حوالي ٩٠×٦٠ سنتيمتر تقريباً، وتأخذ قطاع فتحة المزغل من حيث ضيقها من الخارج واتساعها من الداخل كما يغلق عليها مصراع حديدي، أما الجدار الجنوبي للقاعة الرئيسية فيتصل على التوالي من الغرب إلي الشرق بكل من الصفّة عبر ثلاث فتحات نوافذ مطاولة معقودة بعقود نصف دائرية ، ثم بدركاة دخول القاعة، ثم بغرفة المراقبة في الركن الجنوبي الشرقي عبر ثلاث فتحات نوافذ تتشابة مع نوافذ الصفّة، كما تشرف القاعة من الجهة الشرقية على الخارج عبر أربع فتحات مزاغل متباينة الاتجاهات، وتخطيط القاعة من الداخل عبارة عن أستطراق أوسط باتساع ١٠٠ سنتيمتر تقريباً في نفس مستوى أرضية دركاة الدخول ويحيط به من كلا الجانبان مسطبتان مرتفعتان بمقدار ٨٥ سنتيمتر تقريباً المسطبه الشمالية متصلة ويبلغ عرضها حوالي ١٣٠ سنتيمتر تقريباً، والمسطبة الجنوبية يفصلها الممر الواصل من دركاة الدخول إلي الاستطراق الأوسط وتبلغ أبعاد القسم الجنوبي الشرقي من هذه المسطبة حوالي ١٧٠×٥٤٥ سنتيمتر تقريباً، بينما تبلغ أبعاد القسم الغربي منها حوالي ١٧٠×٦٥٥ سنتيمتر تقريباً، أما سقف القاعة فهو من الغاب المحمول على زوايا حديدية مجدّدة حديثاً على نفس النسق الذي كانت عليه قديماً، أما من الناحية الوظيفية فالقاعة كانت هي

المنارة للاستشارات
www.

المكان المخصص للمرابطة العسكرية ومبيت الجنود حيث يمكن أن تستوعب مساحتها ما يقرب من حوالي ٥٠ جندي تقريباً والذين كانوا يمثلون القوة الأساسية المتمركزة في هذا الموقع (أنظر الشكل رقم ١٠).

١٢- البرج

وهو الكتلة الأبرز دفاعياً في المنشأة والأكثر ارتفاعاً عن بقية الوحدات، وهو من الوحدات التي ساعدت إلى حد كبير في تحديد هوية المنشأة من حيث نوعيتها المعمارية، ويقع البرج في الركن الجنوبي الغربي من القاعة الرئيسية وهو ذو مسقط شبه مربع حيث تبلغ أبعادة ٣٧٥×٤٩٠ سنتيمتر تقريباً، والبرج مكون من ثلاث طوابق الأرضي وهو الدكّة الحجرية التي ترتفع حتى مستوى أرضية الطابق الأول ويبلغ ارتفاعها نحو ٢٢٠ سنتيمتر تقريباً من مستوى أرضية الفناء، ويمكن الوصول لهذا الطابق عبر الدرج الصاعد الموجود في غرب الصفّة والذي يفضي مباشرة إلى فتحة باب في الضلع الجنوبي من هذا الطابق، كما يمكن الوصول إليه كذلك عبر فتحة الشباك (الباب) التي تصل فيما بين هذا الطابق والضلع الغربي للقاعة الرئيسية بالمنشأة، ويشرف الطابق الأول للبرج على الجهة الجنوبية عبر فتحة مزغل واحدة كما يشرف على الجهتان الغربية والشمالية عبر فتحتي مزغل في كل جهة منهما، ويتميز هذا الطابق بأن سقفه مكشوف سوي من ممشى ضيق بعرض ٦٠ سنتيمتر تقريباً يحيط به من الأربع جهات ويمثل في ذات الوقت أرضية الطابق الثاني والأخير من البرج، وقد كان يتوصل لهذا الطابق عبر سلّم نقّالي بسيط غير موجود حالياً ، ويشرف الطابق الثاني على الأربع جهات عبر سور بارتفاع ١٦٠ سنتيمتر يتخلله من الجهة الشرقية فتحة باب غير معقودة يمكن من خلالها الهبوط لسطح المنشأة مباشرةً عبر درجتي سلم، كما يوجد في نفس هذا الضلع وإلى الشمال من الباب مستويين من فتحات المزاغل بكل مستوى فتحتان أما بقية أضلاع الطابق الثاني وهي الشمالية والغربية والجنوبية فيتخللها جميعاً مستويان من فتحات المزاغل عبارة عن أربع فتحات في المستوى السفلي من كل ضلع وثلاثة في المستوي العلوي، ورغم أن الجهة الجنوبية تشرف على داخل المنشأة حيث الفناء والصهريج كما تشرف الجهة الشرقية على السطح إلا أنهما لم تخلوا أيضاً من فتحات المزاغل (أنظر شكل ١١).

١٣- السطح

يمثل السطح أحد الوحدات المهمة في المنشأة ويتضح ذلك من خلال وسائل تحصينه المتنوعة ، حيث زوّد بسور شبه مستطيل بارتفاع ١٧٥ سنتيمتر تقريباً يمثل دِرْوَة يحتمي الجنود المرابطين من خلفها في أعلى المنشأة كما زوّد هذا السور أيضاً بالسقّاطات وبالعديد من فتحات المزاغل، وتبلغ مساحة

المنارة للاستشارات
www.

السطح تقريباً حوالي ٧٢٠ سنتيمتر من الشمال إلي الجنوب و ١٢٧٠ سنتيمتر تقريباً من الشرق إلي الغرب، ويشرف السطح من الجهة الجنوبية على فناء المنشأة عبر خمس فتحات مزاغل ثلاثة منها إلي الغرب من السقّاطة واثنتان إلي شرقها وذلك قبل بداية المنطقة المشطوفة من السور، أما السقّاطة فهي تتوسط السور تقريباً وإن كانت أقرب إلي الشرق منها إلي الغرب، وهي بنفس ارتفاع السور وبعرض ١١٠ سنتيمتر تقريباً، وتبرز عن سمت السور بمقدار ٢٠ سنتيمتر تقريباً ويفتح في أرضيتها أربع فتحات مربعة تصب مباشرة في المنطقة التي تتقدم الجدار الجنوبي لدركاة دخول القاعة الرئيسية، كما يفتح أيضاً بنوع من الانحراف في ركني السقاطة الشرقي والغربي فتحتي مزغل، أما المنطقة المشطوفة من السور وهي تواجه الجهة الجنوبية الشرقية فيتخللها ثلاث فتحات مزاغل ويتوسطها من أعلى جدار السور دعامة شبه مربعة يبدو أنها كانت مخصصه لتثبيت نوع من الأسلحة الحربية أو منظار للمراقبة أو ما شابه، يلي ذلك السور الشرقي للسطح وتتوسطه سقّاطة بنفس مقاييس السقّاطة الجنوبية تقريباً غير أن أرضيتها تفتح بها فقط ثلاث فتحات مربعة كما أنها مزوّدة بفتحتي مزغل منحرفتان في ركنيها الشمالي والجنوبي، ويفتح في المنطقة الجنوبية من السور والتي تلي السقّاطة وقبل المنطقة المشطوفة فتحة مزغل واحدة، أما المنطقة الشمالية منه فيفتح بها مستويين من فتحات المزاغل بكل مستوى توجد فتحتين

(أنظر شكل ١٢).

أما الضلع الشمالي من السور ككل فيشرف على خارج المنشأة عبر سقّاطة تتوسطه تقريباً وهي بنفس مواصفات السقّاطات السابقة غير أن أرضيتها تفتح على أسفل المنشأه عبر فتحة مستطيلة بعرض السقاطة تقريباً، كما يتخلل ركني السقّاطة الشرقي والغربي فتحتي مزغل منحرفتان، وإلي جانبيها من الجهتان ميزابان لتصريف مياه الأمطار، كما يوجد ثالث يتوسط القسم الغربي من السور والذي يلي السقّاطة حيث زوّد هذا القسم كذلك بسبع فتحات مزاغل أربعة منها في المستوى السفلي وثلاثة في حافة السور العلوية، أما القسم الشرقي من هذا السور فيفتح به كذلك خمس فتحات مزاغل ثلاثة منها في المستوى السفلي واثنتان في الحافة العلوية للسور. أما بالنسبة للضلع الغربي من السور فيشرف على الخارج عبر منطقة يبلغ امتدادها حوالي ١٣٠ سنتيمتر تقريباً فهي تشرف على الخارج عبر مستويين من فتحات المزاغل بكل مستوى فتحة واحدة، ويلي ذلك السور الشرقي للطابق الثاني من البرج ورغم أنه على سمت الضلع الغربي لسور السطح إلا أن ارتفاعه يبلغ ضعف ارتفاع سور السطح، ويشرف هذا القسم من سور

المنارة للاستشارات
www.

البرج على سطح المنشأه عبر أربع فتحات مزاغل في مستويان اثنتان منهما في كل مستوى ثم يلي ذلك فتحة الباب الغير معقودة، أما القسم الأخير من السور الغربي للسطح فهو يشرف مباشرة على منطقة الدرج الصاعد للبرج دون أية حاجز ويبلغ امتداد هذه المسافة حوالي ١٤٥ سنتيمتر تقريباً، وهي تمثل نقطة التقاء السور الغربي لسطح المنشأة مع السور الجنوبي لها (أنظر شكل ١٣).

١٤- الأسقف والأرضيات

من أبرز العناصر التي عكست الأثر البيئي للمنطقة التي بنيت بها المنشأة حيث نلاحظ أن جزء كبير من أرضيات المنشأة مصنوعة من الحجر الكلسي المصقول وهو عبارة عن كِسَرْ غير منتظمة الأشكال من هذه الأحجار التي صُقِل ظاهرها وترك باطنها ربما دون أي نحت وذلك لزيادة تماسكها ومتانتها ثم رصّت جنباً إلي جنب وثبتت بواسطة الملاط وأغلبه من الجص، كما يبدو ذلك في أرضية الفناء وغرفة المراقبة والصفّة ومساطب القاعة الرئيسية والطابق الأول من البرج وغرفة المراقبة وتتشابه هذه الطريقة إلي حد كبير مع طريقة الرصف بالمكدام وهي الأحجار الصلدة السوداء مصقولة الظاهر أما باطنها فهو مدبب حتى ينغرس في الأرض شبه الصلبة بواسطة الدق وذلك للتثبيت، ولم تقتصر هذه الطريقة على الأرضيات فقط بل استخدمت في رصف الدرج الصاعد للبرج وهو ما يؤكد على أن درجات السلم ليست كتل حجرية مستقلة بل تم بنائها ثم بلطت أرضيته فيما بعد كما يلاحظ في بعض أرضيات المنشأة أنها مستوية ومصقولة بطبقة من الجص كما في أرضة سطح المنشأة وسطح الصهريج وسطح الحاصل و الطابق الثاني من البرج. أما بالنسبة للأسقف فهي مجددة كلياً بالمنشأة، غير أنه من المؤكد أنها تحاكي الأسقف القديمة للمنشأة، والتي كانت بالتأكيد على نسق أسقف العمائر الفرسانية التقليدية، وجاءت أسقف المنشأة على طراز واحد في غاية البساطة وهو أسلوب التغطية بالمواد النباتية البسيطة والتي تمثلت هنا في سيقان الغاب البحري الجاف وجذوع الأشجار مختلفة الأطوال والأحجام إضافة لاستخدام الزوايا الحديدية ككمرات تحمل بعض أسقف المنشأة خاصة في سقفي الصفّة والقاعة الرئيسية وهي من الوحدات المعمارية الكبرى بالمنشأة، أما الوحدات الصغيرة فقد استخدمت جذوع الأشجار التي تحمل صفوف متراصة من هذا الغاب وتم طلاء كافة الأسقف من أعلى بطبقة من الملاط الجصي المخلوط بالأسمنت وذلك لتلافي أضرار مياه الأمطار (أنظر شكل ١٤).

المنارة للاستشارات
www.

الدراسة التحليلية

بعد هذه الدراسة الوصفية المفصّلة والمستفيضة لكافة الأجزاء المكوّنة للمنشأة ومختلف عناصرها ووحداتها المعمارية الرئيسية والفرعية من الداخل والخارج، يجدر بنا أن ننظر إليها من وجهة النظر التحليلية والتي يمكننا من خلالها استجلاء كثير من جوانب الغموض التي تحيط بها، وأول ما يمكننا مناقشته في هذا الصدد هو تأريخ المنشأة حيث لم تسجّل ثمّة كتابات أو نصوص تأسيسية أو حتى عناصر زخرفية يمكننا الاستدلال من خلالها على تاريخ البناء، كما أن معظم المراجع والمصادر من مخطوطات وغيرها والتي استعنت بها في البحث تخلو تماماً من إشارات صريحة سواء لتاريخ البناء أو للمنشئ، ولقد تمكنت من استنباط هذا التاريخ من خلال استقراء كافة الأحداث والملابسات التاريخية التي مرّت بها المنطقة والتي أوردتها في صدر البحث، حيث ثبت لدي بصورة شبه يقينية أن هذه المنشأة قد بنيت في الفترة ما بين سنتي ١٩٠١ و١٩١٣ وذلك عقب هزيمة الإدريسي للترك (العثمانيين) في موقعة الحفائر بجيزان واستيلاءه على حاميتهم العسكرية بها سنة ١٩١١ وتقهقرهم إلي جزيرة فرسان والتي كانت تمثل حلقة الاتصال بين إيطاليا على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر من جهة، والإدريسي من جهة أخرى وذلك عبر جزر مصوّع وبربرة ، وكان ذلك خلال إمارة الوالي العثماني سليمان باشا على متصرفيّة عسير فأراد العثمانيون بذلك أن يحولوا بين الإمدادات العسكرية الإيطالية للإدريسي من جهة وأن يحكموا قبضتهم على الجزيرة من جهة أخرى خشية وقوعها سيطرة أولئك أو هؤلاء، ولقد كانت الدولة العثمانية حينئذ تخوض حرباً مع إيطاليا في طرابلس الغرب وما لبثت أن دخلت في حرب البلقان سنة ١٩١٢ و١٩١٣ فأرادت أن تبني مثل هذه المنشآت على عجل وذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، وعلي الرغم من أن الوجود العثماني بالجزيرة يرجع للقرن السادس عشر [٣٤]. وأن احتمالية بناء قلعة لهم هناك في الجزيرة أمر وارد ومقبول تاريخياً، إلا أن فرضيّة أن يكون البناء الحالي هو تلك القلعة التي ربما تكون قد بنيت منذ ما يربو عن ٥٠٠ عام - أي منذ دخولهم الجزيرة - أمر صعب حيث أن بعض الصور الأرشيفية القديمة للبناء الحالي قبل ترميمه، وكذلك القرائن الآثارية والمعمارية ودخول مادة الحديد في البناء لا تؤكد هذا التقادم الزمني الكبير، والمرجّ أنه ربما كان هناك بناء عثماني قديم بالفعل في نفس

[٣٤] سهيل صابان، تقرير عثماني عن جزيرة فرسان عام (١٣١٩هـ/١٩٠١م)،ص ٧٦، كتاب اللقاء التاسع لجمعية التاريخ والآثار بمجلس التعاون الخليجي المنعقد في جدّة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٩هـ.

المنارة للاستشارات
www.

المكان هدم واندثر بفعل الزمن والتطورات السياسية للأحداث خاصة بعد جلاء العثمانيين عن الجزيرة سنة ١٦٢٦م ، ثم حلّت محلّه هذه المنشأة التي بنوها مجدداً عقب عودة سيطرتهم من جديد على تلك المناطق .

أما المشكلة البحثية الأخرى وهي تحديد هوية المنشأة، وأقصد به نوعية المنشأة من حيث كونها مدنية أو حربية دفاعية ويجدر بنا في البداية أن نعلم أن المنشآت الحربية قد تنوعت وتعددت أشكالها ما بين الحصون والقلاع والأبراج والأسوار والطوابي والثكنات والمعسكرات وغيرها، وقد تباينت أدوار ووظائف كثير من هذه النوعيات باختلاف مجريات العصر والظروف السياسية التي تمر بها بقعة معينة من بقاع الدولة الإسلامية، فبعض من هذه المنشآت قد خرج أحياناً عن وظيفته الحربية لأداء وظائف أخرى دينية وربما اجتماعية أو ربما الاثنين معاً في بعض الأحيان وأقصد بذلك الأربطة، وهي أحد أهم وأقدم نوعيات المنشآت الحربية الإسلامية وكانت تنشئ على سواحل وثغور الإمبراطورية الإسلامية وحدودها مع دول الجوار للدفاع عن تلك الحدود والذوّد عنها وذلك عن طريق الجند المرابطين المسلحين والمكلفين بذلك من قبل السلطان أو الخليفة، وقد شهدت العمارة الإسلامية عبر مختلف حقبها التاريخية الكثير من مثل هذه النماذج ومن أبرزها رباط المنستير [٣٥] وهو من أقدم أربطة غرب العالم الإسلامي ورباط الأمير أزدمر الصالحي [٣٦] وهو من أبرز أربطة القاهرة المملوكية، وغيرها الكثير بمختلف أنحاء الإمبراطورية الإسلامية غير أن هذه النوعية من المنشآت قد تحولت في فترة من الفترات لدور كفالة اجتماعية للمطلقات والأرامل واليتيمات ومن فقدنّ عائلهن فقد كن يقمن فيها تحت رعاية ونفقة أحد الصالحين الذي كان يسخر لهن كافة مقومات الحياة من مأكل ومشرب وملبس وإقامة الشعائر وغير ذلك عن طريق بعض الأوقاف أو الهبات وذلك حتى تتبدل أحوالهن ، كما كان من بين هذه الأربطة ما يخصص لإقامة الغرباء لفترة محددة حتى يقضون حاجاتهم وينصرفون لبلادهم ، ومن أبرز هذه النماذج مجموعة الأربطة الموجودة بالمنطقة التاريخية بجدة كرباط

---

[٣٥] يقع بمدينة المنستير التونسية أسسه هرثمة بن الأعين سنة (٨٠هـ/٧٩٦م) في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، ويعد أحد أعظم المعالم العسكرية الدفاعية في العصر العباسي بشمال إفريقيه، وأدخلت على الرباط كثير من التجديدات بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر ويبلغ ارتفاعه نحو ٢٠ متراً.

[٣٦] يقع بشارع القادرية بجبانة السيوطي بحي السيدة عائشة، وبني سنة (٦٦٦-٦٦٧هـ/١٢٦٧- ١٢٦٨م) ويعرف حالياً باسم مصطفى باشا حاكم اليمن مجدّده المدفون به.

المنارة للاستشارات
www.

الخنجي الكبير، والخنجي الصغير [٣٧] ، وجمعة شحاته، وسارة نصيف الكبير، وسارة نصيف الصغير، والديب، والصومال، والولايا، والنوري، وبا درب، ولقد حدثت هذه التحولات في وظائف الأربطة نتيجة لاستقرار الحياة السياسية في البلاد التي شهدتها وهو ما يدل في ذات الوقت على مرونة وحيوية مختلف نوعيات العمارة الإسلامية وقدرتها على التأقلم مع مختلف ظروف العصر وكذلك مدى قابليتها وطواعيتها لأداء مختلف الوظائف التي قد تناط بها في أي وقت، وهكذا فقد جمعت هذه الأربطة فيما بين العديد من عناصرها المسجد وهو مصلى صغير يمكّن المقيمين فيه من أداء الصلوات إضافة للوحدات السكنية والبئر والمطبخ والحواصل والمراحيض وغيرها من المكملات، غير أن كل ذلك لم يكن قاعدة ثابتة في كل نماذجها بقدر ما كان يخضع لرغبة المنشئ ومقتضيات الحال . ورغم أن الوثائق التي تحدثت بشكل غير مباشر عن المنشأة موضوع البحث لم تشر صراحة للفظة "قلعة" بل أطلقت عليها لفظة "مقّرزة" [٣٨] بتشديد الفاء وهو لفظ قريب من اللفظ الذي كان يطلق في مصر آنذاك على المدارس الحربية، إذ أطلقت عليها الوثائق المصرية مدارس "المفروزة" ، في إشارة واضحة إلي تلك النوعية من المدارس التي كان ينشئها محمد على باشا في مختلف أنحاء مصر لتخريج الضباط والعساكر الجهادية، وبالطبع كان يتم فرز عناصر هذه المدارس فرزاً دقيقاً حتى يكونوا أكفّاء للمهام التي سيعدّون من أجلها، ويتضح لنا مدى الشبه الواضح بين اللفظتان والغرض الحقيقي من كلتيهما وإن اختلف في جوهره بعض الشيء فالمفرزة لأداء وممارسة الفنون الحربية والقتالية والمفروزة لتعلم أداء وممارسة تلك الفنون. وبالجملة فالمنشأة موضوع البحث إذاً هي أقرب ما يكون للرباط الإسلامي ذو الصفة الحربية الدفاعية، ونستطيع أن نتبيّن ذلك من خلال كثير من الشواهد حيث أنه أنشئ مع بدايات القرن العشرين وهي فترة تزعزعت فيها قوى الخلافة

[٣٧] يحكي أحد قدامى سكان المنطقة والمشرف على الرباط حالياً من قبل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عن أبيه الذي كان مشرفاً على الرباط أيضاً من قبل، أن الرباط ينسب لحاج هندي ثري زار البقاع المقدسة قبل نحو مائتي سنة وكان أهالي جدّة يلقبونه بالخنج أو الخنجي وقد قرر أن يشتري قطعتي الأرض اللتين أقيم عليهما الرباطان وأوقفهما مسكناً للأرامل والأيامى قربة إلي الله تعالى (المرجع: منال حميدان، حماة التاريخ، ص٣٦، مجلة السياحة والآثار السعودية (ترحال)، العدد ٢٢، ص٣٤-٣٩ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ،٢٠١١.

[٣٨] عبد الله بن علي الضمدي، العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني،ص١٩٤، مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة الملك سعود، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، بعد ١٠٦٨هـ.

المنارة للاستشارات
www.

الإسلامية والتي حملت رايتها الإمبراطورية العثمانية والتي تكالبت على أراضيها وممتلكاتها كافة قوى الاستعمار الأوربي والأسيوي والأمريكي براً وبحراً إضافة للقوى الداخلية المناوئة أيضاً، كما أن هذه المنشأة قد أنشأت في منطقة حدودية من أهم المناطق التي كانت تمثل منفذاً بحرياً هاماً للحرمين الشريفين واللذان تعرضا كثيراً من خلاله لتهديدات خطيرة من مثل هذه القوى الاستعمارية أضف إلي أطماعهم في السيطرة على طرق التجارة العالمية للتحكم في اقتصاديات العالم آنذاك [٣٩] والتي كان يعد البحر الأحمر من أهم شرايينها الرئيسية. أما بالنسبة لطبيعة المنشأة الوظيفية واقصد بذلك الدور الوظيفي الذي لعبته المنشأة بشكل حقيقي وليس تقليدي إي أن هذه المنشأه كونها كانت رباطاً عسكرياً بني في الأصل لأغراض دفاعية فهل أدى هذه الوظائف؟ أم أنه كان مخصصاً لأغراض أخرى دون الغرض الدفاعي؟ وإن كان الأمر كذلك فما هي تلك الوظائف الأخرى التي قام بأدائها؟ أم أنه أدى كلتا الوظيفتان في آن واحد ؟ حقيقة الأمر وبناءً على دراسة الواقع الجغرافي للمنطقة التي يقع فيها الرباط بصفة عامة والحديث هنا عن مجمل إمارة جازان بما كانت تشتمل علية من مساحات إضافية من مناطق للإمارات المجاورة لها حالياً والتي وصلت أحياناً لمناطق عسير والقنفدة شمالاً، وكذلك مناطق شمال غرب اليمن والتي كانت تتداخل إلي حد كبير ضمن حدود المملكة العربية السعودية الآن بما فيها مناطق ميدي وحرض والعواريض كلها كانت تمثل أقصى الحدود الجنوبية من ممتلكات الدولة العثمانية، وكلها كانت تموج بالصراعات المذهبية والسياسية والقبلية والتي وصلت إلي حد مناوئة الخلافة العثمانية نفسها، ومن ثم فلم تستطع إحكام سيطرتها عليها بقوة خاصة بعد إنهاء انجلترا الحكم المصري هناك تزلفاً للسلطان بحجة الحد من أطماع محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية، وحقيقة الأمر أن بريطانيا رغبت في الاستئثار بسيادتها على تلك المناطق كمكافأة لها على حسن صنيعها للخلافة العثمانية، غير أن السلطان وإن كان قد رفض ذلك إلا أنه لم يستطع الحد من أطماع تلك القوى الاستعمارية وكان جل اهتمامه هو تقوية قبضة الإدارة العثمانية هناك وتمهيد بعض الطرق ومد خطوط التلغراف وإرسال بعض قطع الأسطول الحربي

[٣٩] هند فخري سعيد، التنافس البريطاني- الفرنسي على سواحل البحر الأحمر الجنوبية (اليمن) ١٧٦٢-١٨٠١،ص٣٠٣، مجلة أبحاث كلية التربية ألأساسية، جامعة الموصل، المجلد١٠، عدد ٤، ص ٣٠٠-٣٢١ ،الموصل ، العراق ،٢٠١١.

المنارة للاستشارات
www.

لتتمركز في بعض النقاط الحيوية [٤٠] ، وكذلك إقامة بعض النقاط العسكرية الحصينة والحاميات وتسليحها كقوى دفاعية رادعة تساعد الإدارة في وقت السلم وتصد الهجمات في أوقات الحروب ، ومن ثم فقد شهدت معظم حواضر المدن كثير من المعاقل [٤١] التي أشارت إليها المصادر التاريخية كما في قلاع كل من القنفدة والطائف وأبي عريش [٤٢] وأبها التي كانت عاصمة إقليم عسير وجيزان وكذلك جازان نفسها التي وجد بها عدة قلاع كقلعة جازان [٤٣] ، والقلعة المعروفة بالثريا [٤٤] ، وكذلك جزر فرسان وغيرها ، وإن المتأمل في المنشأة موضوع البحث يلاحظ أنها تنطبق عليها معظم هذه القرائن حيث أنها قريبة من سواحل الجزيرة بصفة عامة وكذلك قريبة من عمران الجزيرة، كما أنها تربط في ذات الوقت بين جازان والساحل الغربي لجزر فرسان وذلك بتوسطها وتمركزها في وسط تلك الجزيرة ومن ثم فقد كانت هذه المنشأة تعبر عن الحكم العثماني فتكون وسيلة لضبط الأمن الداخلي وتدعيم مركز الإدارة وفي ذات الوقت يقوم جندها بقمع وإخماد حركات التمرد أو الانفصال والعصيان والفتن وكذا ليرافق هؤلاء الجند جباة الضرائب [٤٥] ومحصلو الخراج، وأيضاً لفرض السيطرة والأمن وبسط

---

[٤٠] عباس حمداني، رد العثمانيين على اكتشاف أمريكا والطريق الجديد للهند ص٣٢٦، مجلة الجمعية الإستشراقية الأمريكية، المجلد ١٠١، رقم ٣، ص٣٢٣-٣٣٠ ، لندن،١٩٨١.

[٤١] عبد الرحمن بن حسن البهكلي، نزهة الظريف في حوادث أولاد الشريف، ص٨٣،٨٤، مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٢٢٤هـ .

[٤٢] عبد الله بن علي الضمدي، المرجع نفسه ، ص٣٥٢ .

[٤٣] أشار إليها الضمدي في العقيق اليماني صفحات ١٨٩،٣٥٦،٣٥٧، وقال أن من بناها هو الأمير مراد وكان ذلك في حوادث سنة (٩٩١هـ/١٥٨٣م).

[٤٤] عبد الله بن علي الضمدي، المرجع نفسه ص ١٧٩.

[٤٥] وفقاً لتقرير أفاد بأن عشر معشار الرسوم المقررة على جزر فرسان لا يتم استيفاؤه، فقد أعد التقرير رقم (YMTV.220/58) المحفوظ بالأرشيف العثماني من قبل الفرقة العسكرية التي كانت ترابط بفرسان في هذه المنشأة بتاريخ ٢٠ حزيران ١٣١٧ رومي/١٦ ربيع الأول ١٣١٩ هجري/٣ يوليو ١٩٠١ ميلادي، ويفيد بأن إجمالي الرسوم التي يتم تحصيلها عن واردات الجزيرة رغم كثرتها- حيث الموارد البحرية من لؤلؤ وأسماك وعنبر وكذلك موارد زراعية مختلفة وأيضاً رؤوس أغنام وغيرها- قليلة جداً، وقد شدد التقرير على ضرورة زيادة هذه المتحصلات، وضرورة تشديد الرقابة على عمليات التحصيل التي تتم من قبل الإدارة العثمانية هناك. المرجع : سهيل صابان ، المرجع نفسه ، ص ٤٣.

المنارة للاستشارات
www.

السيادة والنفوذ العثماني في تلك المناطق وفي ذات الوقت الدفاع عن الجزيرة ومهاجمة أي قوىً خارجية تحاول الاستيلاء عليها أو النفاذ من خلالها لداخل شبه الجزيرة العربية .

العناصر الدفاعية في المنشأة

تنوعت المعالجات المعمارية فيما يختص بتحصين المنشأة موضوع الدراسة وأولى هذه المعالجات يتمثل في حسن اختيار الموقع العام للمنشأة حيث أنها تتوسط الجزيرة فهي قريبة من العمران قريبة من السواحل في ذات الوقت وهذا مما كان يسهل سرعة الاتصال فيما بينها وبين السكان من جهة وفيما بينها وبين جيزان من ناحية أخرى، أما موقع المنشأة الخاص فقد تم اختياره كذلك بعناية فائقة إذ أنها أنشئت في أعلى نقطة بالجزيرة وذلك كي يتكشّف لمن بها كافة ما كان يمكن أن يقع في الحال وذلك ليس من خلال الوسائل والأدوات الخاصة بعمليات المراقبة فقط بل من خلال الوحدات المعمارية للمنشأة كالبرج وغرفة المراقبة والسطح، كما أن من ضمن مميزات الموقع الخاص بالمنشأة اختيار منطقة صخرية متميزة صلبة ومتماسكة إلي حد كبير استغلها المعمار كدكّة صخرية طبيعية مثلت أساس المنشأة في كثير من وحداتها الهامة كالقاعة الرئيسية والبرج الذي يمثل أعلى كتلة معمارية في المنشأة. أما فيما يختص بالوحدات والعناصر الدفاعية المعمارية فهي من أكثر ما شهدته هذه المنشأة في إشارة واضحة لطبيعتها ووظيفتها الأساسية، وتبدأ هذه العناصر بالأسوار حيث أحيط القسم الأمامي من المنشأة بسور مزوّد باثنتين وعشرون فتحة مزغل لحماية هذا القسم، كما زوّد سطح المنشأة كذلك بسور ذو ثلاث وثلاثون فتحة مزغل، ومن هذه العناصر الدفاعية أيضاً السقّاطات والتي كانت تستخدم في العصور الوسطى لسكب المواد الملتهبة على الأعداء حال تسللهم أو دخولهم المنشآت الحربية الدفاعية، ورغم أنها من العناصر الدفاعية التقليدية حيث كانت مستخدمه قبل اكتشاف الأسلحة النارية الحديثة، إلا أن المعمار حرص على تزويد المنشأة بثلاث نماذج منها تفتح في سور سطح المنشأة، وربما كانت تستخدم في كلا الغرضين معاً أو أحدهما في حال عدم كفاية الآخر، وهما الرماية أو سكب المواد الملتهبة على حد سواء، ويأتي بعد ذلك المدخل المنكسر، وهو ما كانت تطلق عليه الوثائق القديمة اسم الباشورة، ورغم أن مختلف نوعيات العمائر الإسلامية كالدينية والمدنية وخاصة السكنية منها قد شهدت مثل هذه النوعية من المداخل، إلا أن الحكمة من وضعها بالعمائر الدفاعية بالذات كان بهدف إعاقة الهجوم والدخول المباشر لهذه المنشآت وقد شهدت المنشأة أحد هذه المداخل المنكسرة كما يبدو في دركاة دخول القاعة الرئيسية، ومن هذه الوحدات الدفاعية أيضاً غرفة المراقبة، وهي تقع جنوب شرق القاعة

المنارة للاستشارات
www.

الرئيسية، وتتميز بانفتاحها على الخارج من الجهتين الشرقية والجنوبية ويفتح في جدارها الشرقي ثلاث فتحات مزاغل واثنتان في جدارها الغربي الفاصل فيما بينها وبين دركاة المدخل، وغالباً ما كانت تستخدم غرف المراقبة في متابعة تحركات الأعداء، ولذلك فقد حرص المعمار على وضعها في الجهة التي يتوقع منها تلك التحركات وهي الجنوب والشرق، كما أن دورها كان مكملاً لبقية العناصر الدفاعية بالمنشأة، إذ يمكن أن تتم المراقبة كذلك عبر أي وحدة من وحدات المنشأة كالسطح العلوي أو البرج والذي يأتي كوحدة من أهم الوحدات الدفاعية الهامة والخطيرة في المنشآت الحربية بصفة عامة، وإذا علمنا أن الأبراج هذه في كثير من الأحيان كانت تنشئ كوحدات دفاعية مستقلة بذاتها، كما كانت تلحق في كثير من الأحيان بالعمائر السكنية والتجارية وحتى المدن السكنية الكاملة المرافق والمنافع والحقوق، استطعنا أن نقدّر قيمته حينما يضاف لمجموعة وحدات حربية أخرى داخل إطار معماري محدود، والأبراج تتنوع مساقطها وأحجامها وارتفاعاتها وكذلك وسائل تحصينها الدفاعية ولست هنا بصدد ذلك بقدر ما أريد تحليل هذا العنصر، إذ أن المعمار لمّا أراده أن يكون الأكثر ارتفاعاً فقد اختار أعلى منطقة في الدكّة الحجرية التي تمثل أساس المنشأة وقام بوضعه عليها، ويتضح لنا ذلك من خلال مسافة قد تصل إلى المترين أسفل هذا البرج عبارة عن منطقة مسمطة تماماً، كما أنه علم مدى ضعف مواد البناء إلى حد ما فأراد أن يتغلّب على ذلك باستخدام هذه القاعدة المسمطة كي يصل به لأقصى ارتفاع ممكن دون زيادة في عدد الطوابق مما قد يترتب عليه انهيارها فيما بعد ذلك، كما وفق المعمار كذلك في توجيه البرج حيث أبرزه عن سمت الضلع الغربي للمنشأة ككل وذلك كي يقوم بحماية ثلاث جبهات بدلاً من جبهة واحدة، فأصبح يواجه بالإضافة للجهة الغربية الجهتان الشمالية والجنوبية، وذلك لإبراز أهميته وكونه أهم الوحدات الدفاعية في المنشأة، ليس هذا فقط بل أن المعمار قد ارتفع بالسور الشرقي للطابق الأخير منه وزوّده كذلك بفتحات المزاغل لحماية الجهة الشرقية أيضاً عبر سطح المنشأة، وقد زوّد المعمار البرج بصفة عامة بنحو تسع وعشرين فتحة مزغل في كلا طابقيه وهو العدد الأكبر من فتحات المزاغل على مستوى عناصر ووحدات المنشأة ككل، كما زوّده بدرّوة في الطابق الأخير وجعله متصلاً بأبرز وأهم وحدات المنشأة بشكل مباشر، إذ يشرف على الصفّة والقاعة الرئيسية والسطح في ذات الوقت. ومن أبرز ما تميزت به معالجات المعمار كذلك في تحقيق الغرض الرئيسي من كل هذه العناصر الدفاعية هو عبقريته في حسن توزيعها على مختلف واجهات المنشأة وعدم تركيزها في جهة معينة دون بقية الجهات وذلك لتوفير أقصى درجات الحماية والأمن

المنارة للاستشارات
www.

لمن بداخل المنشأة وكذلك للإشراف والسيطرة على مختلف الجهات المحيطة بها، فبينما نجدة قد وضع البرج مشرفاً على الجهات الشمالية والغربية والجنوبية نجد القاعة الرئيسية تشرف على الجهات الغربية والشمالية والشرقية، وبينما تشرف غرفة المراقبة على الجهتان الشرقية والجنوبية نجد السور الأمامي للمنشأة يشرف على الجهة الجنوبية، أما السطح فهو يشرف من أعلى على كافة الجهات، وهكذا فقد ضمن المعمار السيطرة الكاملة على كافة الجهات المحيطة بالمنشأة.

منافع ومرافق وحقوق المنشأة

إن نظرة فاحصة لأي نوعية من نوعيات العمائر الإسلامية بصفة عامة وإن صغر حجمها وتقلصت أبعاد عناصرها فإننا نجد فيها مدى مراعاة البعد الحضاري والإنساني بصفة خاصة، حيث أن هذه المنشآت لم تبن وتشيد وتنفق عليها النفقات الطائلة والتي كانت تمثل في أغلب الأحيان جملة ثروات المنشئين لمجرد تخليد الذكر أو المباهاة أو التعبير عن قوة المنشئ ومدى سطوته وثرائه بقدر ما كانت لخدمة أغراض حقيقة على أرض الواقع، ومن المسلم به أن الأداة التي من خلالها سيتم تحقيق هذه الأغراض ولكن بدرجات متفاوتة هي الإنسان، فوجب على كل المشاركين في التخطيط والإنشاء والتشييد وغير ذلك مراعاة هذا البعد الإنساني حتى يتمكن من أداء الوظائف على الوجه الأكمل دون خلل أو تقصير، ومن ثم فقد حفلت سائر نوعيات العمائر الإسلامية بمختلف هذه المنافع والمرافق التي تحقق ذلك من حفظ للحرمات وتحقيق للأمن والأمان وتوفير أغلب الوسائل المساعدة في ذلك من مساجد ومخازن وحواصل ومطابخ وطواحين وأفنية وممرات ومقاعد وأجنحة سكنية وسواقي وأفران وآبار ومراحيض وأحواض ودورات مياه وحمامات ومرابط للدواب وحدائق وغيرها، وذلك بحسب طبيعة كل منشأة والدور الوظيفي الذي تقوم به . ونظراً لأن المنشآت الحربية كانت من أكثر المنشآت أهمية لكونها منوط بها الدفاع عن ديار الإسلام وحماية المسلمين فقد زوّدها المعمار بكل ما يمكن أن يساعد جندها المرابطين في أداء تلك الوظائف، وأود أن أشير هنا إلي أنه لم يكن هناك نهج معين يحدد وضعية ومواقع وأحجام وأبعاد وشكل ووظيفة مختلف هذه المرافق التي يمكن أن تلحق بالمنشآت، بقدر ما كان ذلك يخضع لاعتبارات كثيرة منها مثلاً الموارد المالية المتاحة وكذلك رغبة المنشئ وطبيعة المكان وجغرافيته البيئية والتضاريسية وظروف ومتغيرات العصر، وهذا ما لوحظ بالفعل في المنشأة موضوع البحث فمرابط الخيول التي كانت تلحق بالأربطة القديمة استبدلت بأماكن لحفظ الآليات القتالية، وفتحات رمي السهام الطويلة الضيقة استبدلت بطاقات شبه مستديرة معوجّة أحياناً لتلائم شكل وأحجام فوهات

المنارة للاستشارات
www.

البنادق والمدافع ومناظير المراقبة كما يبدو واضحاً في كل فتحات المزاغل بالمنشأة، كما ظهر السور البسيط شبه المنخفض المزوّد بفتحات المزاغل بدلاً من الأسوار الشاهقة المزدوجة أحياناً والمزودة بالأبراج والدهاليز والسراديب السرية التي كان يتخفى بها الجند أو يستخدمونها في حال الهروب، واستبدلت المصاريع الخشبية الضخمة ذات الأحزمة المعدنية المثبته بالمسامير ذات الرؤوس المكوبجة بأبواب حديدية بسيطة تؤدي نفس الأغراض، كما في باب السور ودركاة المدخل وغرفة المراقبة وباب البرج وكذلك نافذته التي تصل فيما بينه وبين القاعة الرئيسية، كما استبدلت الخزانات النومية المنفردة الضيقة ذات الأسقف المنخفضة والتي كانت تلحق بطباقات الجند في القلاع والحصون الحربية وكانت تخصص لمبيتهم، بأماكن أكثر اتساعاً وأجود تهوية وإضاءة تشتمل على مساطب مرتفعة أقرب ما تكون للأسرة الحديثة، كما بدى ذلك في مساطب القاعة الرئيسية بالمنشأة، وإضافة لكل ذلك فقد وفّر المعمار كثير من العناصر الهامة الأخرى كمصدر المياه الذي لا غنىً عنه وتمثل في بئر يقع على بعد حوالي ٢٥ متر تقريباً من المنشأة، كما زودها من الداخل بصهريج بسيط في أقصى الركن الجنوبي الغربي من الفناء يمكن من خلاله استيعاب حوالي ١٠ أمتار متر مكعّب من الماء، كما زود فناء المنشأة بحاصل بنفس مواصفات الصهريج تقريباً ويقع بأقصى الركن الجنوبي الغربي ومن المحتمل أنه كان يستخدم لتخزين المؤن الخاصة بالحامية العسكرية المقيمة هناك سواء كانت مواد غذائية أو أسلحة وذخائر، أما الصلاة فقد كانت كما يبدو تؤدى في وسط الفناء المكشوف إذ تخلو المنشأة من ثمة عناصر تشير إلي اشتمالها على مسجد أو حتى مجرد مصلى صغير، ويبدو أن المعمار نظراً لضيق المساحة لم يكن مضطراً لأن يلحق مسجداً بالمنشأة فاكتفى بالفناء الذي يمكن الصلاة فيه وممارسة بعض الأنشطة اليومية الأخرى، كما أن الصفّة من العناصر الهامة التي شهدتها المنشأة وهي من العناصر الأصيلة في العمارة الإسلامية بعامة والتركية العثمانية على وجه الخصوص، حيث أن الصفّة كانت هي أصل الرواق (الظلّة) في العمارة الدينية والذي تنوعت أشكالها وتباينت مساحاتها فيما بعد بناءً على عدد البائكات وعلى المساحات الفراغية المتاحة، كما أن الصفّة قد وجدت أحياناً تتقدم بعض المساجد كما في مسجد الصالح طلائع بالقاهرة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) والذي يرجع إلي العصر الفاطمي، كما شوهدت نماذجها قديماً في صدر الإسلام في الوحدات السكنية التي كانت ملحقة بقصر الأخيضر العباسي (١٦١هـ/٧٧٨م)، وكانت الصفّة من أبرز عناصر القصور السكنية التركية المعروفة باسم الياليهات والتي كانت تبنى على سواحل البسفور حيث كانت متنفساً يمكن لأهل القصر من خلالها التمتع

المنارة للاستشارات
www.

بالنسيم العليل وبالمناظر الطبيعية الخلّابة خاصة وأنها كانت تشرف على المسطحات المائية بالجهات التي تأتي منها الرياح اللطيفة ، ولا يبدو غريباً هنا أن تشتمل هذه المنشأة التي وإن كانت الطبيعة الحربية تغلب عليها فقد كانت أيضاً تمثل سكناً دائماً لطائفة من الجند المرابطين والمقيمين بها بشكل شبه دائم فربما كانت الصفّة تمثل ملجئاً لهم من أشعة الشمس المحرقة في نهار قائظ الحرارة ومتنفساً لهم بالليل يجلسون بها متجاذبين أطراف الحديث يتناولون بعض المشروبات أو يدخنون التبغ، كما أنها كانت تمثل أيضاً مقر جلوس المحصلين والجباة بسجلاتهم ودفاترهم التي يقومون من خلالها بإحصاء الواردات وكذلك الضرائب والرسوم المستحقة عليها.

الخاتمة والنتائج

وهكذا فقد حظيت جزيرة فرسان بواحدة من أبرز وأهم المنشآت الدفاعية العثمانية بجنوب غرب المملكة العربية السعودية التي وإن قلت كثيراً من النواحي الشكلية والفنية عن نظيراتها من المنشآت الأخرى التي شهدتها مختلف ولايات الدولة العثمانية كبغداد ودمشق والقاهرة مثلاً إلا أنها عبّرت في مضمونها عن استمرارية التقاليد المعمارية الإسلامية ومدى طواعية ومرونة هذه التقاليد ومقدرة المعمار ومدى عبقريته في أقلمتها مع مختلف بيئات العالم الإسلامي سواء من الناحية الجيولوجية أو المناخية أو الوظيفية، إذ شهدنا منشأة حربية دفاعية على الطراز الإسلامي بشكل تقليدي يجسد لنا مختلف خصائص ومميزات العمارة الفرسانية بصفة خاصة في واحد من أبرز أنماط العمائر التقليدية التي سادت مناطق جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وشمال غرب اليمن، ورغم أن الشكل العام للمنشأة يوحي بالبساطة الشديدة التي تكاد تصل إلي حد التقشف المعماري إلا أنها في حقيقة الأمر قد اشتملت على معظم العناصر والوحدات التي كانت تشتمل عليها نظيراتها في العصور الوسطى ولكن بأساليب ومعالجات مختلفة، لقد نتج عن هذه الدراسة إلقاء أضواء جديدة على منشأة معمارية متميزة ومتفردة وقد أمكن تأريخها بعد وصف وتحليل ومقارنة كافة عناصرها، كما أمكن تحديد هويتها المعمارية ووظائفها الحقيقية التي قامت بأدائها وذلك في إطار معماري آثاري توثيقي لكافة هذه الوحدات والمكونات وطرق وأساليب البناء والتشييد المتبعة التي وضحت مدى خضوع كل تلك الأساليب للمؤثرات البيئية المحلية السائدة، كما اشتملت الدراسة على مجموعة جديدة من المساقط الهندسية والرسوم التخطيطية لكافة طوابقها وعناصرها من أسقف وأرضيات وملاحق وغيرها وذلك كي تكون هذه الدراسة بمثابة وثيقة متميزة تبين كافة جوانب هذه المنشأة ومعالمها الرئيسية والفرعية، كما

المنارة للاستشارات
www.

دعّمت الدراسة بملحق خاص بصور القلعة التي عبرت عن كافة تفاصيلها المعمارية والتي تم توصيفها وتحليلها من خلال الدراسة.

قائمة المراجع

المخطوطات العربية

(١) عبد الرحمن بن حسن البهكلي، نزهة الظريف في حوادث أولاد الشريف، مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة الملك سعود ، الرياض، السعودية، ١٢٢٤هـ.

(٢) عبد الرحمن أحمد البهكلي الضمدي، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود،(١١٨٢هـ - ١٢٤٨هـ)، تكملة العلامة الشيخ الحسن بن أحمد عاكش الضمدي (١٢٢٠هـ - ١٢٩٠هـ)، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.

(٣) عبد الله بن علي الضمدي، العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني، مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة الملك سعود، الرياض ، السعودية بعد ١٠٦٨هـ.

الكتب العربية

(١) أحمد بن عمر الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ.

(٢) تاج الدين عبد الباقي عبد المجيد، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، صنعاء، دار الحكمة ، ١٤٠٨م.

(٣) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨.

(٤) سهيل صابان تقرير عثماني عن جزيرة فرسان عام (١٣١٩هـ/١٩٠١م)، كتاب اللقاء التاسع لجمعية التاريخ والآثار بمجلس التعاون الخليجي المنعقد في جدّة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٩هـ.

(٥) عبد الفتاح حسن أبو عليّة، حجاز سياحتنامة سي، الرياض، دار المريخ،١٩٨٣.

(٦) عمارة الحكمي، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد تحقيق محمد ابن علي الأكوع صنعاء، المكتبة اليمنية ، ١٩٨٥.

(٧) فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢: ١٩١٨، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦.

(٨) فؤاد صروف،طبقات الأرض، القاهرة، مطابع وزارة المعارف العمومية،١٩٣٢م.

المنارة للاستشارات
www.

(٩) محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة المدينة المنورة، ١٤١٥هـ .
(١٠) محمد فهد العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان ،١٤١٥هـ.
(١١) ياقوت الحموي، معجم البلدان اليمانية، بيروت، مكتبة الرسالة،١٩٨٨م.

الكتب الاجنبية

(1) lLHAN, Mehdi, 1979,The Ottoman Turks and the Portuguese in the Arab Gulf 1534-1581,Iraq, Centre for Arab GuIf Studies Publications, Basra University .
(2) Jacob, Harold F ,1923, Kings of The Arabia ,London, Specialized Book Service .

الدوريات العربية

(١) على بن حسين الصميلي، المخلاف السليماني في عهد الإشراف آل خيرات، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ٨، ص٣٧١-٤٤٦. ،مكة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٧هـ ،
(٢) عباس حمداني، رد العثمانيين على اكتشاف أمريكا والطريق الجديد للهند، بمجلة الجمعية الإستشراقية الأمريكية، المجلد ١٠١، رقم ٣، ص٣٢٣- ٣٣٠، لندن ،١٩٨١.
(٣) منال حميدان، حماة التاريخ، مجلة السياحة والآثار السعودية (ترحال)، العدد ٢٢، ص٣٤-٣٩ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ،٢٠١١.
(٤) هند فخري سعيد، التنافس البريطاني- الفرنسي على سواحل البحر الأحمر الجنوبية (اليمن) ١٧٦٢-١٨٠١، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية- جامعة الموصل،المجلد١٠، عدد ٤، ص ٣٠٠-٣٢١، الموصل ، العراق، ٢٠١١.

الدوريات الأجنبية

(1)Gladstone, William,2000, The ecological and social basis for management of a Red Sea marine-protected area, Ocean & Coastal Management, Vol. 43,pp. 1015:1032.
(2) Peterson , J.E. , 1985, the Islands of Arabia: Their recent history and strategic importance , Arabian studies , vol. No. 7,pp.22-36.
(3) Wronski, Torsten , 2010, The molluscan bio-fouling community on the Red Sea pearl oyster beds , Zoology in the Middle East, Vol. 51,pp. 67-73.
(4) W. Gladstone, 2002, Fisheries of the Farasan Islands (Red Sea) Naga, World Fish Center Quarterly, Vol. 25, pp.30-34.

الرسائل العلمية منال محمد الرشيدي العنزي ، مدينة صبيا في عهد أسرة آل خيرات، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية،١٤٢٩ هـ.

المنارة للاستشارات
www.

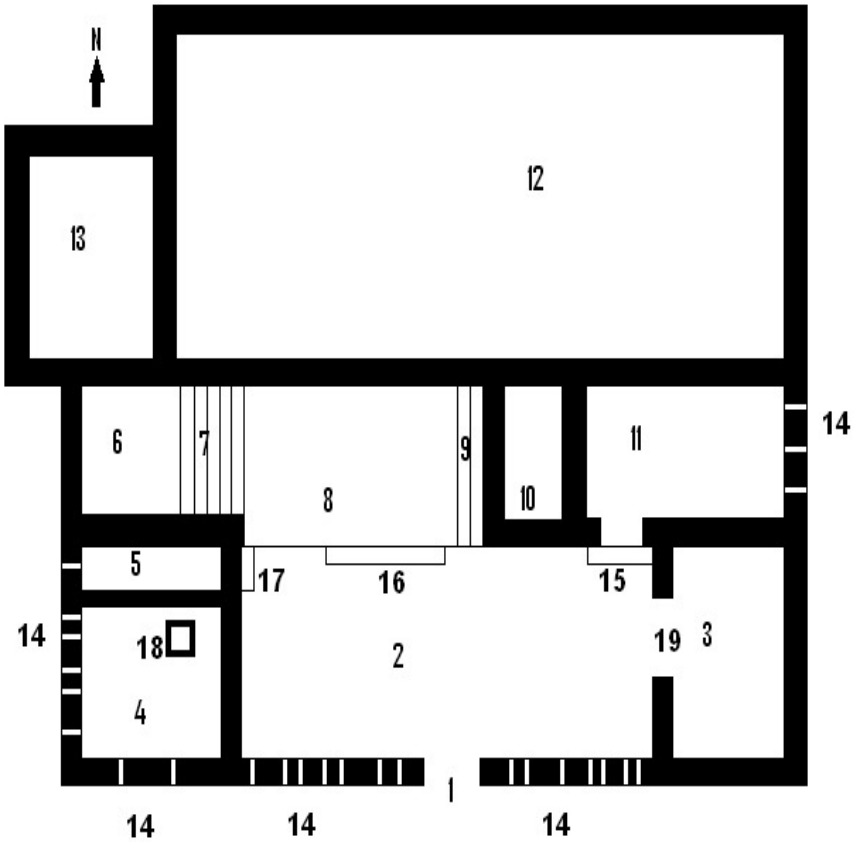

شكل رقم (١) المملكة العربية السعودية – جازان- جزيرة فرسان- القلعة العثمانية – مسقط أفقي يوضح الطابق الأرضي.

١-المدخل الرئيسي ٢- الفناء ٣- الحاصل ٤-الصهريج ٥- دكّة حجرية مسطبة ٦- المنطقة المؤدية للبرج ٧- الدرج الصاعد للبرج ٨- الصفة ٩- درج صاعد للدركاة ١٠- دكّة مسطبة أسفل الدركاة ١١- غرفة مراقبة ١٢- دكّة مسطبة أسفل القاعة الرئيسية ١٣- الطابق المسطح من البرج ١٤- فتحات مزاغل ١٥- درجة سلّم تتقدم غرفة المراقبة ١٦- درجة سلّم تتقدم السقيفة ١٧- درجة سلّم تتقدم الدكّة والصهريج ١٨- خرّزة الصهريج ١٩- باب الحاصل.

المنارة للاستشارات
www.

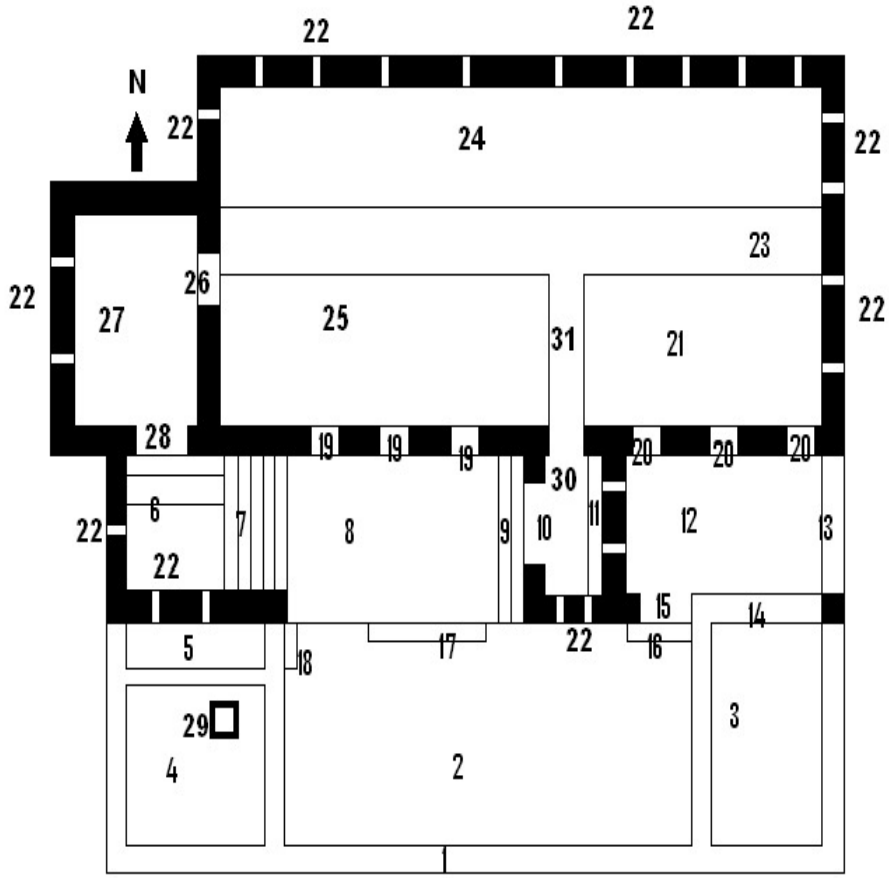

شكل رقم (٢) الملكة العربية السعودية- جازان – فرسان- القلعة العثمانية- مسقط أفقي يوضح الطابق الأول.

١-السور ٢- الفناء ٣- الحاصل ٤- الصهريج ٥-الدكّة الحجرية ٦- درج يتقدم مدخل البرج ٧- الدرج الصاعد للبرج ٨- الصفة ٩- درج صاعد للدركاة ١٠- الدركاة ١١- مسطبة (مِكسلة) ١٢- غرفة المراقبة ١٣- شرّفة مفتوحة ١٤- شرّفة مفتوحة ١٥- مدخل الغرفة ١٦- درجة سلّم ١٧- درجة سلّم١٨- درجة سلّم ١٩- فتحات نوافذ ٢٠- فتحات نوافذ ٢١- دكّة حجرية ٢٢- فتحات مزاغل ٢٣- استطراق منخفض ٢٤- دكّة حجرية ٢٥- دكّة حجرية ٢٦- فتحة شباك ٢٧- الطابق الثاني من البرج ٢٨- مدخل البرج ٢٩- خرّزة الصهريج.

المنارة للاستشارات
www.

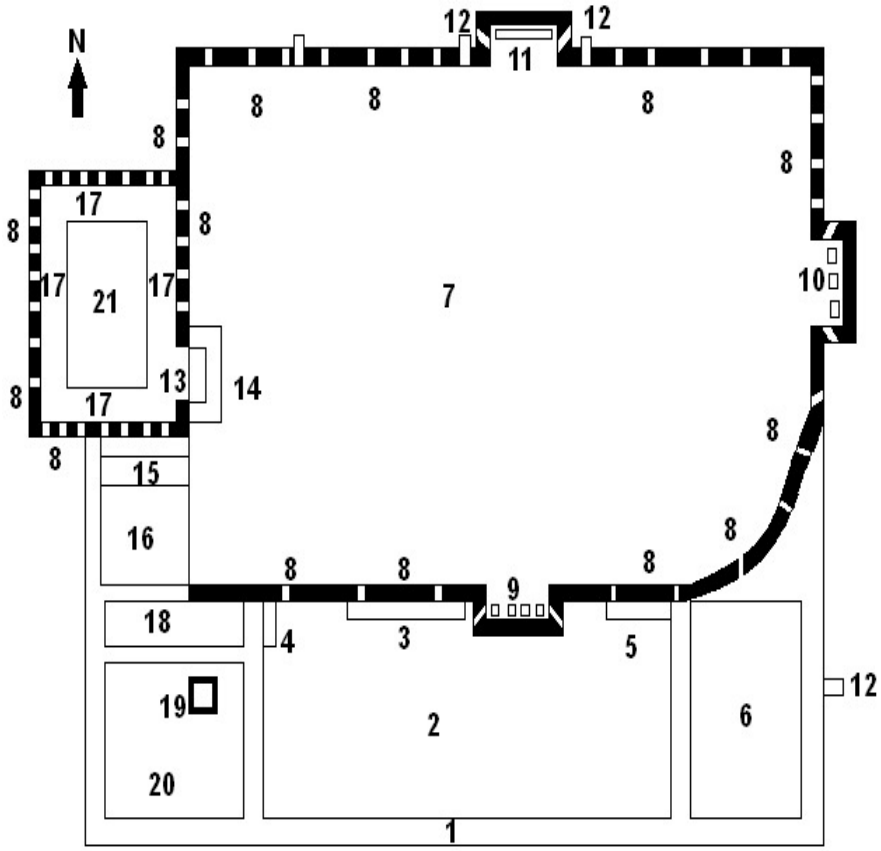

شكل رقم (٣) المملكة العربية السعودية-جازان- فرسان- القلعة العثمانية – مسقط أفقي للسطح

١-السور ٢- الفناء ٣- درجة سلم ٤- درجة سلم ٥-درجة سلم ٦- الحاصل ٧- السطح ٨- فتحات مزاغل ٩-سقّاطة ذات ثلاث فتحات ١٠- سقّاطة ذات ثلاث فتحات ١١- سقاطة ذات فتحة مستطيلة ١٢- ميازيب ١٣- مدخل السطح ١٤- درج للسطح ١٥- درج للبرج ١٦- منّور١٧- ممّشى مستطيل ١٨- دكّة حجرية ١٩- خرزة الصهريج ٢٠- الصهريج ٢١- أرضية الطابق الثاني من البرج.

المنارة للاستشارات
www.

شكل رقم (٤) القلعة العثمانية – الواجهة الرئيسية (الجنوبية) لوحة توضح الموقع العام لها والبئر الذي يتقدمها والكردون الحديدي المحيط بها والدرج الصاعد إليها.

لوحة رقم (٥) القلعة العثمانية – الواجهة الشمالية بأقصى اليمين وتتميز بكثرة فتحات المزاغل والسور العلوي ذو السقاطة والميازيب، ثم الواجهة الشرقية وبها غرفة المراقبة والحاصل ذو الميزاب بأقصى اليسار والسور العلوي ذو السقاطة.

المنارة للاستشارات
www.

شكل رقم (٦) القلعة العثمانية – الواجهة الغربية حيث السور في أقصي اليمين ثم الدرج ثم البرج ثم القاعة الرئيسية وجزء من الواجهة الشمالية حيث السقاطة وثلاث ميازيب.

لوحة رقم (٧) القلعة العثمانية – الفناء ذو الأرضية الحجرية، وتشرف علية الصفة ودركاة دخول القاعة الرئيسية وباب غرفة المراقبة من الشمال، والحاصل من الشرق والباب الرئيسي من الجنوب، والصهريج ذو الخرزة من الغرب.

المنارة للاستشارات
www.

لوحة رقم (٨) القلعة العثمانية- الصفة وتفتح بصدرها بعض نوافذ القاعة الرئيسية، كما تفتح عليها دركاة دخول القاعة الرئيسية عبر درج بأقصى اليمين، ويصعد من خلالها عبر الدرج للطابق الأول من البرج بأقصى اليسار، كما يتضح في اللوحة سقف الصفة.

لوحة رقم (٩) القلعة العثمانية- غرفة المراقبة، تشرف على الجهة الشرقية عبر نافذة مستطيلة يدنوها ثلاث مزاغل، وتتصل شمالاً بالقاعة الرئيسية عبر ثلاث فتحات نوافذ، كما تشرف من الجنوب على سطح الحاصل والفناء عبر فتحة الباب.

المنارة للاستشارات
www.

لوحة رقم (١٠) القلعة العثمانية – القاعة الرئيسية ويتضح بصدرها النافذة (الباب) الذي يفتح في الطابق الاول من البرج، وباليسار باب الدركاة ونوافذ الصفة، وباليمين فتحات المزاغل.

لوحة رقم (١١) القلعة العثمانية- طابقي البرج وفتحات مزاغلهماالتي تشرف على الغرب والجنوب، والباب المؤدي لهما عبر الدرج الواصل من غرب الصفّة.

المنارة للاستشارات
www.

لوحة رقم (١٢) القلعة العثمانية- سطح المنشأة،الواجهة الجنوبية بأقصى اليمين،الواجهة الشرقية بالمنتصف، الواجهة الشمالية بأقصى اليسار، وتتضح السقاطات وفتحات المزاغل.

لوحة رقم (١٣) القلعة العثمانية – السطح ،الجهة الشمالية بأقصى اليمين،الواجهة الغربية ويبرز في وسطها سور الطابق الثاني من البرج في منتصف اللوحة، الواجهة الجنوبية بأقصى اليسار.

المنارة للاستشارات
www.

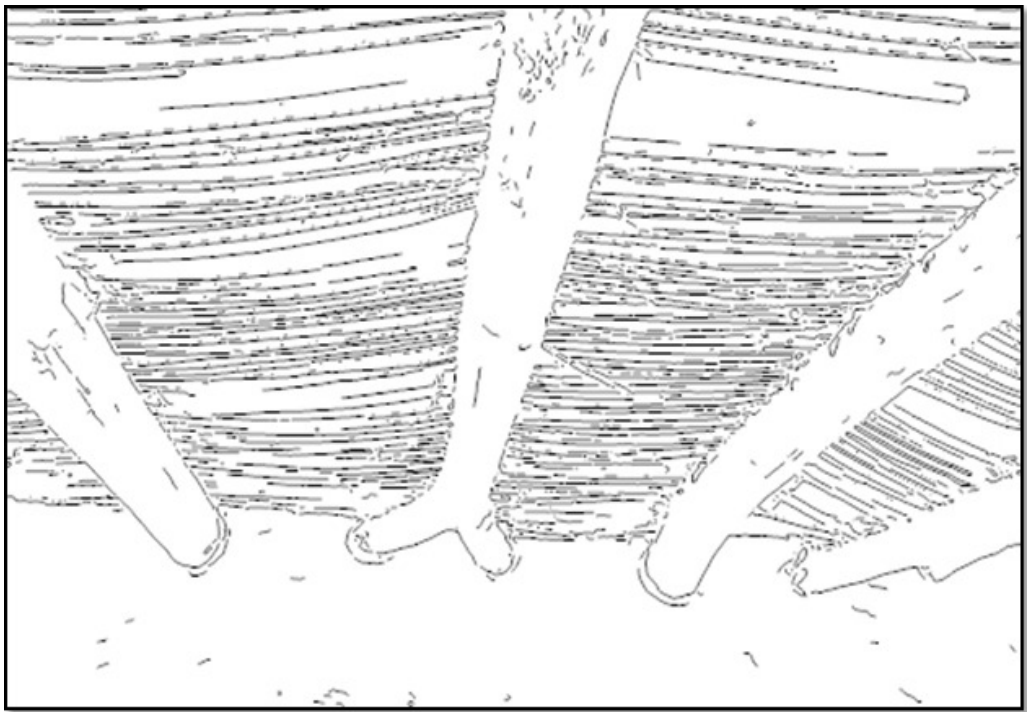

لوحة رقم (١٤) القلعة العثمانية – رسم توضيحي لسقف الحاصل المكوّن من حزم الغاب المحمولة على جزوع الأشجار.

المنارة للاستشارات
www.